المقتطف

الجزء الرابع من السنة السادسة عشرة

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٨٩٢ الموافق ١ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩

الخيالات والتخيُّلات

وخلاصة مباحث العلماء فيها

وُجد زيد قتيلاً في دارهِ ولم يُعلَم قاتلهُ ولا اهتدى رجال الشحنة اليهِ · وجاء عمرٌو مجلس القضاء وادَّعى ان روح زيد هذا تجلّت لهُ واخبرتهُ ان خالدًا هو القاتل · ثم جاء بِشرٌ وادَّعى انهُ رأَى طيف زيد في اليوم الذي قُتِل فيهِ وسمعهُ يقول لهُ ان خالدًا قد اراق دمي فلا تكتم امرهُ · وعمرٌو وبِشرٌ من العلماء الفضلاء المشهود لهم بالعفَّة والاستقامة فهل يقبل القضاة شهادتهما ويحكمون بموجبها على خالد · كلاَّ · ولو حكموا بموجبها للامهم الجمهور وحسب انهم خالفوا الشرع والعرف · وقِسْ على ذلك ارباب الزراعة والصناعة والتجارة فانهم كلهم لا يبنون احكامهم ومعاملاتهم على الهواجس والاحلام ولا على الخيالات والتخيُّلات لعلمهم انها تصيب مرةً وتخطئ الف مرة فإصابتها من قبيل الاتفاق النادر الذي لا يُبنى عليهِ حكم · ولكنَّ الناس يستغربون ما يُروى عن الخيالات والتخيُّلات والهواجس والاحلام ويحسبون ان لها علّةً روحيَّة ويتهافت عامتهم على المدَّعين معرفة الغيب بها تهافت الفراش على السراج فلا ترى مشعوذًا من المشعوذين جالسًا في شوارع القاهرة حتَّى ترى حولهُ كثيرات من النساء هذه تسألهُ عن زوجها الغائب وتلك عن ابنها المريض . ولا يختصُّ ذلك بالعامة بل يشترك فيهِ بعض الخاصَّة فيدْعون المشعوذين الى بيوتهم يضربون المندل والرمل ويستعملون الزار والتنويم ونحو ذلك من طرق التكهُّن لمعرفة الغيب واكتشاف ما يقصر عنهُ العقل والعلم

وقد ذكرنا غير مرة ان مسالة الخيالات والتخيُّلات شغلت افكار فريق من كبار العلماء فالّفوا مجمعًا للبحث فيها سموهُ مجمع العلوم النفسيَّة الامتحانيَّة ووسَّعوا نطاق الاستقراء

بمسائل نشروها في اقطار المسكونة وطلبوا من كل محبي المباحث العلمية الاجابة عليها · وقد لخصنا كثيرًا من مباحثهم واقوالهم في المجلدات الماضية من المقتطف

ولما اجتمع مؤتمر علماء العلوم النفسية الامتحانية في مدينة باريس منذ سنتين قرّ رأي اعضائه على استئناف البحث والاستقراء وعيّن الاستاذ هنري سَدْجْوِك لهذا الامر في انكلترا والاستاذ وليم جمس في اميركا · ونشر الاستاذ سدجوك مسائل كثيرة في هذا الموضوع وطلب من محبي المعارف الاجابة عليها بالتدقيق فكتبت اليه احدى النساء تقول كنت مساء الحادي والعشرين من شهر يناير عام ١٨٩٠ اقرأ قصيدةً من اشعار اللورد تنيسُن وآخر كلمة وقع نظري عليها كلمة " روفر" · واصابت امي حينئذٍ نوبة عصبية فقلقتُ عليها وبتُّ تلك الليلة ولم يذق جفني الكرى لشدة اشتغال بالي و بعد نصف الليل بنحو ساعتين رأيت نورًا مشرقًا على طرف السرير فاحدقت اليه واذا فيه صورة كتاب مفتوح وفي الكتاب كلمة مكتوبة بحروف سوداء فتبيّنتها جيدًا واذا هي كلمة " روفر" فحرت في امري ولم افهم المراد منها وكانت افكاري لم تزل مشغولة بما اصاب امي ثم خطر لي ان هذه الكلمة هي آخر كلمة وقع نظري عليها في اشعار تنيسُن التي كنت اقرأُها قبلما اصابت امي النوبة العصبية فعلمت انها صورة خيالية صوّرها في مخيلتي ما اصابني من الاضطراب العصبي واشتغال البال على والدتي

وقال الاستاذ سدجوك معقبًا على ذلك لو كانت هذه المرأة في العصور المظلمة وكانت الكلمة الاخيرة التي وقع نظرها عليها كلمة موت او ويل او ما اشبه ثم صوّرها لها الوهم في حالك الظلام لحكمت بانها إلهامٌ الهي او خداع شيطاني ينبئها بمصير امها على اثر النوبة التي اصابتها

وكتبت اليه امرأةٌ جرمانية تقول انها كانت سائرة وحدها في احدى الليالي سنة ١٨٨٥ الى بيت احدى جاراتها وكان القمر بدرًا فرأت بجانب الطريق امرأةً جالسة على حجر وكأنها نائمة وكان البرد شديدًا فشفقت عليها وتقدمتْ نحوها لتوقظها فلما اقتربتْ منها رأتها لابسةً مثلها ثم نظرت اليها فاذا هي تشبهها تمامًا حتّى كأنها رأت نفسها في مرآة ولكنها لم تلبث الّا لحظة من الزمان حتّى اختفت من امام عينيها · وقد رأت هذه المرأة صورتها مرة اخرى قبل ذلك ولم ينلها من رؤيتها نفع ولا ضرر

وهاتان الحادثتان مثال لحوادث كثيرة تتجسّم فيها الصور الذهنية امام المخيلة فيتوهم الانسان انهُ يراها في الخارج وهي لا توجد الّا في مخيلتهِ · وجميع الصور التي ترى في الاحلام

هي من هذا القبيل وكذا الاصوات التي تُسمَع في اليقظة والمنام وهي ليست من هاتف خارجي فانها شعور داخلي يتوهمهُ الانسان خارجًا عنهُ لضعف في بعض المراكز العصبية. وتزيد هذه الخيالات والاصوات في الامراض العصبية والحميات التي يصحبها هذيان واضطراب في وظائف الدماغ كما لا يخفى على احد . وهذا النوع من الخيالات والتخيلات مشهور وتعليلهُ طبيعي لا ينازَع فيهِ فلا نطيل الكلام عليهِ

وكتبت اليهِ احدى الفتيات تقول

مرضت امرأة مسكينة اسمها مسز اڤنس مرضًا مؤلمًا سنة ١٨٨٦ وكنتُ اعودها مرارًا واسلّيها على مصابها ثم اشتدَّ المرض عليها في شهر اكتوبر ولكن لم يظهر لي ان وفاتها قريبة وكنتُ في احد الايام جالسة مع امي في غرفة المائدة بعد العشاء فرأيت هذه المرأة المريضة دخلت الغرفة من باب وخرجت من باب آخر مقابل لهُ فصرختُ قائلةً مَن هذه فالتفتت امي اليَّ وقالت مالكِ فقلتُ لها انني رأيتُ امرأةً دخلت هذه الغرفة وخرجتْ منها وهي مثل مسز اڤنس المريضة تمامًا . وفي اليوم التالي سمعنا ان المرأة توفيت

وكتبت والدة هذه الفتاة تقول راجعتُ كتاب اليوميَّة الذي اكتب فيهِ حوادث حياتي فوجدتُ مكتوبًا فيهِ بتاريخ ١٩ اكتوبر ما يأْتي "لقد ازعجتنا ابنتي البارحة بعد العشاء بقولها انها رأَتْ صورة مسز اڤنس دخلت غرفة المائدة وخرجت منها وقد بلغنا هذا الصباح انها ماتتْ ووجدنا لدى البحث انهُ اصابتها غيبوبة البارحة في نحو الوقت الذي رات ابنتي طيفها فيهِ واسلمت الروح هذا الصباح

وكتب اليهِ احد الاطباء من اميركا يقول انهُ كان سنة ١٨٦٧ في خدمة الحكومة فارسلتهُ الى حصن في ولاية اركنساس وبقيت امرأتهُ في ولاية مشيغان على ثلثمئة ميل منهُ واضطرَّ ان يبتعد عن مكان البريد فلم يكاتب امرأتهُ ولم يأْتهِ منها كتاب مدة ثلاثة اسابيع او اربعة ثم عاد الى الحصن وقرأ المكاتيب التي وردت في غيابهِ من امرأتهِ وقضى جانبًا من الليل وهو يجيبها عليها فلم ينم نومًا كافيًا واراد ان ينام قليلاً في اليوم التالي ليعوّض ما اضاعهُ في الليل فدخل غرفتهُ عند الظهر واضطجع على سريرهِ فسمع صوت واحد دنا من الغرفة وفتح الباب واقترب من السرير فالتفت واذا امرأتهُ واقفة امامهُ فنهض مندهشًا وقال لها متى اتيتِ — اراكِ متعبةً ولا عجب فقد سافرتِ ثلثمئة ميل . فقالت نعم انني متعبة ثم دنا منها فاختفت من امام عينيهِ ولم يرَ احدًا فطلب الباب فوجدهُ مقفلاً كما تركهُ فقلق من جراء ذلك قلقًا شديدًا واوجس خيفة ان تكون امرأتهُ قد قضت نحبها فجمع ما بقي فيهِ من

القوة وكتب اليها واخبرها بما رأى ووصف لها اللباس الذي رآها فيهِ والخاتم الذي رآهُ في يدها والعقد الذي رآهُ في عنقها فاجابتهُ على كتابهِ تقول انني في اليوم الذي رأيت طيفي فيهِ لبستُ اللباس الذي ذكرتهُ والعقد والخاتم اللذين رأيتها تماماً ثم شعرتُ بشيء من التعب فاضطجعت على سريري قبل الظهر بساعة ونمت ثلاث ساعات متوالية

وكتبت هذه المرأة تؤيد ما ذكرهُ زوجها وتقول انها حفظت مكتوبها ومكتوبهُ سنين كثيرة ثم اضاعتها وان زوجها رأى رؤى مثل هذه اربع مرات اخرى ولم تتفق رؤية الشخص مع وقت موتهِ .

وقد ورد على الاستاذ سدجوك ٦٤٨١ جواباً على مسائلهِ ورأى فيها ذكر رؤى كثيرة لم تُصب وذكر رؤى اخرى اصابت . ويظهر لنا انهُ اضطرب في حكمهِ عليها فقال اولاً ان الرؤى التي اصابت لم تكن اصابتها الاَّ اتفاقية لانها قليلة جداً بالنسبة الى الرؤى التي لم تُصب فلو كانت كثيرة مثلها لما امكن ان تكون اصابتها من قبيل الاتفاق . ثم لما جاء الى ذكر الرؤى التي اصابت والتي اخطأت قال ان الاولى ١٢ والثانية ٩٧ . ومعلوم ان ١٢ رؤيا ليست بالشيء القليل حتى يقال ان اصابتها كانت من قبيل الاتفاق . الاَّ اننا لا نرى في ما ذكرهُ دليلاً على صحة هذه الرؤى لاسيما وان كثيرين يروون لك اموراً خارقة العادة ثم اذا دققتَ البحث لم ترَ فيها شيئاً من الخوارق بل رأيت الذين رووها قد ذكروا اموراً لا صحة لها وبنوا احكامهم على ما زينهُ لهم الوهم او على ما خدعوا بهِ انفسهم . فالحادثة التي ذكر فيها موت المرأة المسكينة المساة مسز اقنس وان طيفها ظهر للفتاة في غرفة المائدة لا دليل على صحتها الاَّ قول الفتاة نفسها وقول امها انها كتبتْ ذلك في يوميتها . اما قول الفتاة فمعرَّض للتحريف والمبالغة لانهُ لم يدوَّن في القرطاس ولا يُعتمد على الذاكرة في هذه المسائل لان اللواتي يرين هذه الرؤى هنَّ من ذوات المزاج العصبي الذي يغلب التخيل فيهِ . ولا يعتمد على ما كتبتهُ امها في يوميتها لانها كتبتهُ بعد ان بلغها موت المرأة . وزد على ذلك ان الاستاذ سدجوك لم يرَ هذه اليومية . والمرجح عندنا انهُ لو رآها لوجدها غير منطبقة على ما كتبتْ بهِ اليهِ . فقد روي عن كثيرات انهنَّ شهدنَ بامور وقعت امام عيونهنَّ ثم ظهر ان هذه الامور وقعت قبل ولادتهن وهنَّ لم يقصدنَ الكذب في ما روينهُ ولكنهنَّ سمعنهُ من صغرهنَّ فتوهمن انهنَّ رأينهُ مرأى العين

والطبيب الذي ادَّعى انهُ راى طيف زوجتهِ ادَّعى انهُ كتب ذلك في كتاب بعث بهِ اليها وانها اجابتهُ على كتابهِ بكتاب آخر وحُفظ الكتابان مدَّةً ثم فقدا فلو وُجدا الآن

لانحلّ بها مشكل من اعظم المشاكل واستحقا ان يُحفظا بين جواهر الملوك ولكنها ضاعا لسوء الحظ وما ادرانا ما فيها . وعندنا انها لو وُجدا لما ظهر فيهما شيء خارق . والارجح عندنا ان الطبيب حلم بامرأته او اتاهُ هاجس عنها وكتب اليها عن ذلك ثم سمع قصةً غريبة من هذا النوع فبالغ هو وزوجتهُ في قصتهما حتّى صارت غريبةً مثل القصة التي سمعاها وظلاّ يزيدانها غرابةً كلما كرّرا روايتها حتّى بلغت الحدّ الذي وصلت بهِ الى الاستاذ سدجْوِك

وقد ذكرنا غير مرةٍ ان اثنين من العلماء جمعا كتاباً كبيرًا مما يروى عن الخيالات والتخيلات ونشراهُ في مجلدين ضخمين وقد نظر فيهِ العلاّمة ولِص الشهير قسيم دارون في مذهب النشوء والارتقاء وحكم ان كثيرًا من الخيالات المذكورة في هذا الكتاب وفي غيره من الكتب هي خارجيَّة حقيقية لا داخليَّة وهمية بدليل ان بعضها يراهُ او يسمعهُ اثنان او ثلاثة في وقت واحد و بعضها يراهُ اشخاص مختلفون واقفًا في اماكن مختلفة او يُرَى قائمًا في مكان واحد ولو غيَّر الرائي مكانهُ . و بعضها يؤثر في الجمادات و بعضها يفعل افعالاً طبيعية و بعضها يمكن تصويرهُ صورًا فوتوغرافية . وقد ذكر لكل من ذلك امثلة كثيرة فمن النوع الاول ان رجلاً اسمهُ هري راى طيف فتاة لابسة ثوبًا ابيض وتكرر ظهورها لهُ مرارًا عديدة مدة عشر سنوات ورآها بناتهُ الثلاث وخادمتهنَّ وزوج واحدة منهنَّ . ورآها هري هذا مرةً في غرفتهِ فتقدَّمت من سريرهِ وازالت الكلَّة عنهُ . وذات مرة رآها البنات الثلاث وخادمتهنَّ معًا . ومنها ان فتاتين وصبيًّا كانوا راكبين مركبةً وسائرين في احد البساتين فرأوا خيال امرأةٍ لابسة ثيابًا بيضاء طائرة فوق سور البستان وخاف فرس المركبة منها حتّى تعذَّر عليهم سوقهُ ودام ذلك دقيقتين من الزمان . ومنها ان احد القسوس كان يسمع هو وعائلتهُ صوتًا مثل طرق المطارق وذلك من نصف الليل الى الصباح وظلوا يسمعون هذا الصوت في بيتهم مدة عشرين سنة

ومن النوع الثاني ان القس متفورد الاميركي نزل ضيفًا على احد اصدقائهِ في مكان اسمهُ نورفورك فرأى يومًا مركبة فيها اخو صديقهِ وزوجتهُ آتية نحو البيت الذي كان فيهِ ورآها معهُ اثنان آخران وانتظروا مدةً ليروها داخلين من الباب فلم يدخلا و بعد خمس دقائق اتت ابنة الرجل الذي نُظر في المركبة وقالت انها رأَت اباها وامها آتيين نحو البيت ولكنها لم يلتفتا اليها على غير عادتهما . ثم بعد عشر دقائق اتى الرجل وزوجتهُ في المركبة وقالا انهما اتيا من بيتهما توًّا ولم يحيدا عن الطريق لا يمنة ولا يسرة . فهؤلاء الاربعة رأوا الرجل

وزوجتهُ في المركبة قبلما ركبا فيها . وقد صدّق المستر وَلِص هذه القصة على غرابتها و بنى عليها حكمًا اغرب منها كما سيجيء

ومن النوع الثالث الحادثة التي ذكرناها اولاً وهي خوف الفرس من خيال المرأة التي ظهرت طائرة فوق سور البستان ومنهُ حادثة ذكرها الجنرال بارتر وهي انهُ راى خيال فارس وسائسين في بلاد الهند وكان يصطاد في الغياض ومعهُ كلبان ففزع الكلبان واختبئا بجانبهِ وهما يهرّان ولمّا رأيا انهُ قام وتبع الخيال لم يتبعاهُ بل رجعا الى البيت وكانا قبل ذلك لايفارقانهِ . واستشهد المستر وَلِص بشواهد اخرى من هذا القبيل اضربنا عن ذكرها لضيق المقام ومؤداها كلها ان العجماوات تشاهد الخيالات وتسمع اصواتها وترتاع منها فهي حقيقيّة على زعمهِ لا وهمية في مخيّلة الانسان

ومن النوع الرابع رؤْية الخيالات تفتح الابواب وتدخل البيوت وتطفئُ المصابيح وسماعها تدق الاجراس . من ذلك حادثة ذكرها الماجور مور احد اعضاء الجمعيَّة الملكية . قال ان الاجراس كانت تدق في بيتهِ من نفسها مرارًا كثيرة كل يوم بغير ان يدقها احد من الناس وانهُ بحث عن سبب دقها بحثًا دقيقًا فلم يعرف السبب الى ان قال "وانا مقتنع الآن تمامًا ان دقها ليس بقوة بشريّة" ولما نشر هذا الخبر ورد عليهِ اخبار مماثلة من اربعة عشر مكانًا احدها من الملازم ريفرس رفيق الاميرال نلسن قال ان الاجراس كانت تدق في المستشفى الذي كان نازلاً فيهِ وقد بحث كثيرون من العلماء والصناع عن سبب دقها فلم يقفوا عليهِ

ومن النوع الخامس تصوير ممبلر المصوّر الاميركي لكثير من الخيالات التي كانت تظهر لهُ . وقد أُدُّعي على هذا الرجل بأنهُ خادع فحاكمتهُ الحكومة على ذلك ولما لم يمكنها ان تثبت عليهِ الخداع اطلقت سبيلهُ . قال المستر وَلِص وكثيرًا ما كان غيرهُ يصورون الناس بآلاتهم وموادهم الكيماويَّة فاذا كان ممبلر حاضرًا ووضع يدهُ على آلة التصوير ظهرت في الصورة خيالات أُخرى مع صورة المصوّر . وذكر كثيرون من الثقات انهم كانوا يطلبون من المصور أن يصور لهم احد الذين ماتوا من عهد طويل فيصورهُ لهم مع انهُ لم يرَ صورتهُ في حياتهِ

وقد افاض المستر وَلِص في هذا الموضوع وذكر حوادث أُخرى كثيرة من نوعِ ما تقدّم وعلّل ذلك كلهُ بأن ارواح الموتى تتجلّى لبعض الناس فتنبئهم بما لا يعلمون وقد لا نصدق في اقوالها واعمالها لانها غير معصومة من الخطإ او لانها تختار مرارًا ان تمزح مع الاحياء وتسلّي

نفسها . وعندهُ انها هي التي تسبّب الاحلام والهواجس والخيالات والتخيُّلات وانها تتسلى بذلك كما نتسلى نحن الاحياء بلعب البلياردو والامتحانات الكيماويَّة . هذه خلاصة مذهب المستر ولص في تعليل الخيالات والتخيُّلات وما اشبه . ولو لم نرَ ذلك مكتوبًا بقلمهِ في جريدة من اشهر الجرائد العلمية الفلسفية ما صدَّقنا انهُ يمكن ان يصدر عن مثلهِ من العلماء مع علمنا بانهُ من زعماء المعتقدين بتجلي الارواح المعروف بالسبرتزم

وهب ان ارواح الموتى تتجلَّى لبعض الناس بصور منظورة وتتكلم معهم كلامًا يسمعونهُ وتفتح الابواب وتقرع الاجراس وتطفئ الاضواء فهل تستطيع ان تصوّر لهم صور الناس والخيل والمركبات وتريهم اياها سائرةً على الطريق كانها حقيقةٌ لا وهم وهبْ انها تستطيع كل ذلك فهل تستطيع ان تنبئهم بالمستقبلات قبل وقوعها . فقد ذكر المستر ولص ان انسانًا منعتهُ الروح من الذهاب الى الصيد مع بعض الرفاق فذهب الرفاق وحدهم وغرقوا كلهم وحتم بان الروح علمت ما سيصيبهم فمنعتهُ من الذهاب معهم لكي ينجو من الغرق ونسي انهُ وصف هذه الروح بصفة الهية وهي معرفة الغيب وما سيحدث في المستقبل وحرمها من اخرى وهي الشفقة على اولئك الرفاق فانها لو حذَّرتهم كما حذَّرتهُ لنجوا من الغرق كما نجا

ومن الغريب ان كثيرين من العلماء اضاعوا وقتهم في تعليل بعض الحوادث التي من هذا القبيل ثم تبيَّن لهم انها لم تحدث كما رُويت لهم فاضاعوا الوقت في تعليلها عبثًا . وهذا شأن المستر ولِص وغيرهِ من العلماء الذين يحذون حذوهُ فانهُ لما انتشر كتابا غرني وميرس المشار اليهما آنفًا كتب المستر إنس في جريدة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة يطلب البيِّنات التي تثبت صحة الحوادث المذكورة في ذينك المجلدين وافتتح مقالتهُ بكلام قصهُ عليهِ احد اصدقائهِ وهو قولهُ كنت في مدرسة ابردين في السنة الاولى والثانية من دخولي المدرسة وبقي اخي في البيت وكان بيتنا على مئتي ميل من المدرسة واطلتُ الدرس في احدى الليالي ثم نمت فحلمت ان اخي كان صاعدًا على سور المدرسة التي بقرب بيتنا فزلَّت قدمهُ وسقط واشرف على الخطر فقلقتُ من جرَّاء ذلك وقمت في الصباح وكتبت الى امي اخبرها بالحلم الذي حلمتهُ واتَّفق انهُ ورد لي كتاب منها قبل ان وصل كتابي اليها تخبرني فيهِ ان اخي سقط وهو يحاول الصعود على سور المدرسة . وبعد مدة مات من اثر تلك السقطة . قال المستر إنس فلما سمعت منهُ هذه القصَّة سألتهُ عن هذين الكتابين ولمَّا لم يبدِ جوابًا قلت لهُ انهُ لم يكن بين نساء اسكتلندا امرأةٌ اعقل من امك فلو اتاها كتاب منك بالصفة التي ذكرتها لحفظتهُ اشد الحفظ ولم تفرط بهِ ابدًا . فقال اظنك تعني انهُ كان يجب عليَّ انا ايضًا ان

اتحفظ على كتاب امي فقلت انهُ لو وُجد الآن هذان الكتابان وكانا بالصفة التي ذكرتَ ووجدَت عليهما طوابع البوسطة تدل على تاريخ ارسالها وثبت انك كتبت لامك قبل ان يصل كتابها اليك وكتبتْ اليك قبل ان يصل كتابك اليها لاثبتا صحة هذه الحادثة اثباتًا ينفي كل ريب . وقد تلطفتُ في الجواب بقدر طاقتي لان الرجل كهل وانا كنت شابًا وكان قد مضى على هذه الحادثة اربعون سنة فلم احاول نزعها من ذهنهِ . ثم افاض المستر إنس في هذا الموضوع وبيّن انهُ لا يمكن اثبات حادثة واحدة من جميع الحوادث المذكورة في الكتاب الذي نشرهُ غرني وميرس

فاجابهُ المستر غرني في شهر اكتوبر سنة ١٨٨٧ وقال ان الذين تحدث لهم هذه الحوادث يكتفون باخبار غيرهم بها شفاهًا وقلّما يكتبون ذلك الى احد . واذا كتبوا فيندر جدًا ان يعتني احد بحفظ هذه المكاتيب لاسيما وان الناس لا يحسبون لها قيمة حتّى الآن . وكان بين الحوادث التي انتقدها المستر إنس وطلب اقامة الدليل على صحتها حادثة امرأة مؤلفة قبل في الكتاب انها ساحت في اميركا وتعرّفت برجل اسمهُ جم الجبل فاعتبرها اعتبارًا دينيًا واسرّ اليها ببعض الامور وطلب منها ان تعدهُ بحفظ سرّهِ سواء كان حيًا او ميتًا فوعدتهُ بذلك ولكن حفظ هذا السر ازعجها حتّى انها كانت تقلق في بعض الليالي وتفتكر بهِ وقد ثبت من كتاب كتبتهُ بعد ذلك انها كانت دائمة التفكُّر بهذا الرجل وزاد تفكُّرها بهِ لان آخر كلمة قالها لها قبلما خرجت من اميركا هي «انني سأراكِ حينما اموت» . وبعد ثمانية اشهر ورد اليها وهي في اوربا انهُ جُرح في كولورادو باميركا وشفي من الجرح وهو يدبّر التدابير للاخذ بالثار . وبعد ذلك بقليل رأت الرؤيا الآتية وهاك نصها منقولاً عن الكتاب المشار اليهِ آنفًا . قالت ما ترجمتهُ

"بُعيد ان بلغني هذا الخبر في شهر سبتمبر احد شهور سنة ١٨٧٤ كنت مضطجعة على سريري في نحو الساعة السادسة قبل الظهر اكتب الى اختي ولما رفعتُ عينيّ رأيت جم الجبل واقفًا امامي ناظرًا اليّ فقال لي بتأنٍ ووضوح تامٍ لقد اتيتُ كما وعدتُ ثم اشار بيدهِ اليّ مودعًا . ولمّا جاءت فلانة الى غرفتي بالفطور دوّنا الحادثة بتاريخها وساعة حدوثها . ثم جاءنا خبر موتهِ بعد ذلك فوجدت انهُ مات في الوقت الذي رايت خيالهُ فيهِ تمامًا اذا اعتبرنا الفرق في الطولين" ثم قالت انها ستري مؤلفي الكتاب يوميتها التي فيها تاريخ هذه الرؤيا

فارتاب المستر إنس في دعوى هذه المرأة ولام المستر غرني ورفاقهُ لانهم لم يسعوا لرؤية

اليومية فكان جواب المستر غرني انهُ ظهر لدى اعادة البحث ان هذه المؤلفة لم تأخذ في كتابة يوميتها الاَّ بعد ذلك بمدة ولكنها كتبت ما تقدم في كتاب الى اختها ولم تكتب الكتاب حين رأت الروءيا بل بعد مدة لانها تقول فيهِ «رأيتُ منذ ايام» الى ان تقول "وانني اشعر الآن كأنهُ قال لي حينئذٍ لقد اتيتُ كما وعدت". ومفاد ذلك اولاً ان هذه المؤلفة اخطأَت عمدًا او وهمًا بقولها انها كتبت الحادثة في يوميتها وثانيًا انها لما كتبت لاختها بعد ذلك لم تقل ان الخيال قال لها كذا وكذا بل قالت انني اشعر الآن كأنهُ قال لي كذا وكذا وبين القولين بون شاسع كما لا يخفى . وبما ان كتابها الى اختها لا تاريخ فيهِ فلا يبعد انها حلمت بالرجل المشار اليهِ قبل ان شاع خبر وفاتهِ فلما شاع الخبر علقت الحلم بالوفاة وكتبت الى اختها ما كتبت . اما قولها انها كتبت ذلك في يوميتها في الساعة السادسة صباحًا (وهي في سويسرا) وان ذلك ينطبق على الوقت الذي قُتِل فيهِ وهو الساعة الثانية بعد الظهر في اميركا فاختلاق من عندها رسمهُ الوهم في نفسها فجاهرت بهِ غير خائفة لومة لائمٍ اذ قد ثبت باقرارها بعد ذلك انها لم تشرع في كتابة يوميتها الاَّ بعد ذلك بزمان . وعندنا انهُ لو دُقّق البحث في كل الروايات التي تروى من هذا القبيل لزال منها كل غرابة وامر خارق العادة

ومن هذا القبيل حادثة كتبها السر ادمند هرنبي رئيس قضاة المجلس القنصلي الاعلى في الصين ويابان الى الاستاذين غرني وميرس المتقدم ذكرهما ونشراها في جريدة القرن التاسع عشر قال

"كان مكاتبو الجرائد يأتون بيتي في شنغاي ليأخذوا مني الاحكام وينشروها في جرائد الصباح وكان بينهم محرر غريبُ الاطوار . وفي ذات يوم سنة ١٨٧٥ او ١٨٧٦ دخلتُ مكتبتي بعد العشاء وكتبتُ الحكم على جاري عادتي ووضعتهُ في غلاف واعطيتهُ للخادم وقلتُ لهُ ان يعطيهُ لهذا المحرر حينما يأْتي وكانت الساعة الحادية عشرة ونصف ليلاً . ثم دخلتُ غرفتي ونمتُ في سريري قبل الساعة الثانية عشرة . وانا خفيف النوم استيقظ حالاً بخلاف زوجتي فانهُ يصعب ايقاظها ولاسيَّما في اول نومها وكان في غرفتنا ساعة ومصباح ضعيف النور كنت ارى بهِ الساعة كلما استيقظتُ وكان ذلك عادة فيَّ . ولم انم الاَّ قليلاً حتَّى استيقظت بسماعي واحدًا يدق باب المكتبة فظننتُ انهُ الخادم دخل ليرى ما اذا كان المصباح مطفأً وبعد قليل سمعتهُ يدق باب غرفتنا فقلتُ لهُ ادخل ففتح الباب ودخل واذا هو المحرر المشار اليهِ فجلستُ في سريري وقلتُ لهُ هذه ليست غرفة المكتبة فاخرج واطلب

الحكم من الخادم فقال نعم انني اخطأت بدخولي الى هنا ولكنني دخلتُ لانني لم اجدك في مكتبتك . فأخذ الغيظ مني كلَّ مأخذ وكدتُ انهض من سريري واطردهُ ولكنني تصبَّرتُ قليلاً وقلتُ لهُ لقد اسأتَ كل الاساءة في دخولك الى هنا فاخرج عاجلاً . فاستند الى السرير وجلس عليهِ فالتفتُّ الى الساعة واذا هي الساعة واحدة وثلث بعد نصف الليل فقلت لهُ ان ورقة الحكم مع الخادم وهو يعطيك اياها فاخرج وخذها منهُ . فقال المعذرة يا مولاي فانك لو عرفت امري لعذرتني فانوسّل اليك ان تملي عليَّ خلاصة الحكم حتَّى اكتبهُ ثم اخرج دفترًا من جيبهِ فقلتُ بل انزل وفتش عن الخادم وخذ صورة الحكم منهُ ولا تتكلم ايضًا لئلاَّ توقظ زوجتي . ثم قلتُ لهُ مَن ادخلك الى هنا فقال لا احد فقلت هل انت سكران فقال كلاَّ وما عدتُ لاسكر ولكني اتوسّل اليك ان تملي عليَّ خلاصة الحكم لان وقتي قصير . فقلت الظاهر انك لا تبالي بوقتي فهذه آخر مرة ادع احدًا من مكاتبي الجرائد يدخل بيتي فقال هذه آخر مرة أراك فيها

وخفتُ ان تستيقظ امرأتي وتخاف منهُ فامليتُ عليهِ خلاصة الحكم فكتبهُ كتابة مختصرة ثم نهض واعتذر اليَّ عن دخولهِ في غرفتي وشكرني على ما عاملتهُ بهِ من اللطف دائمًا ثم فتح الباب وخرج وكانت الساعة واحدة ونصفًا بعد نصف الليل . واستيقظت زوجتي حينئذٍ حاسبة انها سمعتْ واحدًا يتكلم فاخبرتها بما حدث . وذهبتُ الى المحكمة في الصباح وجاء خادم المحكمة ليلبسني ثوب القضاء وقال لي حدث امر محزن في الليل الماضي فان فلانًا (المحرّر) وجد ميتًا في بيتهِ فقلت متى وماذا اصابهُ فقال يظهر انهُ دخل غرفتهُ الساعة العاشرة وجلس يكتب ودخلت امرأتهُ عليهِ الساعة الثانية عشرة وقالت لهُ متى تنتهي من الكتابة فقال عليَّ ان اكتب حكم القاضي فقط . ولمَّا ابطأ عادت اليهِ قبل الساعة الاولى بربع ساعة ووصوصت من الباب فوجدتهُ لم يزل جالسًا يكتب وعادت بعد ثلاثة ارباع الساعة فظنتهُ نائمًا وتقدمت لتوقظهُ فوجدتهُ ميتًا ودفترهُ مطروح على الارض . فاستحضرتُ الدفتر فوجدتُ فيهِ ما يأتي "حكم رئيس القضاة هذا الصباح في الدعوى" و يتلو ذلك كلام لا يقرأ . واستدعيتُ قاضي التحقيق وطلبتُ اليهِ ان يبحث عما اذا كان هذا الرجل خرج من بيتهِ بين الساعة الحادية عشرة والاولى ليلاً وعن الساعة التي مات بها فثبت من الفحص الطبي انهُ مات بمرض قلبي وانهُ لم يخرج من بيتهِ في ذلك الليل . وتفحصتُ بيتي وسألت خدمي بالتدقيق فوجدتُ انهُ لم يدخلهُ احد في ذلك الليل ولم يكن دخول احد ممكنًا لان الابواب كانت مقفلة و بقيت مقفلة الى الصباح . واستقصصتُ زوجتي ما قصصتهُ عليها حينما استيقظت

فقصّتْ عليّ القصة كما حدثت تماماً . ولم اخبر بهذه القصة حينئذٍ الاّ قاضياً من القضاة الذين معي واثنين من اصدقائي لانني لم اشأْ نشرها في الجرائد " انتهى

فهذه القصة على ما رواها السرادمند هرنبي صريحة بان روح الميت تجلّت له قبل مفارقتها الجسد في صورة جسمية وتكلّمت معهُ وكتبتْ ما كتبتْ في الدفتر. وراوي هذه القصة من القضاة المشهورين الذين يعتمد على قولهم وحكمهم . وقد نُشرت روايتهُ لها في جريدة القرن التاسع عشر الانكليزيّة ولم يمضِ على نشرها ثلاثة اشهر حتى كتب المستر بلفور محرر جريدة الصين الشمالية في شنغاي يقول انهُ يعرف القاضي السرادمند هرنبي ويعرف ايضاً المحرر الذي قصّ عنهُ هذه القصة وان زوجة السرادمند هرنبي الثانية توفيت قبل وفاة هذا المحرر بسنتين ولم يتزوّج ثالثة الاّ بعد وفاة المحرر بثلاثة اشهر فلما توفي المحرِّر لم يكن للسرادمند هرنبي زوجة حية . ثم قال ان السرادمند ذكر ان الجثة فُحصت فحصاً طبيّاً ولكنّ قاضي التحقيق نفسهُ قال لي ان الجثة لم تفحص فحصاً طبياً . وذكر انهُ حكم في مسألة ذلك اليوم ولكن الجريدة الرسمية لا تذكر شيئاً من امر هذا الحكم وذكر ان المحرّر مات في الساعة الاولى بعد نصف الليل والصحيح انهُ مات في الساعة الثامنة صباحاً

وعُرِض هذا الكتاب على السرادمند هرنبي قبل نشرهِ فلم يخطئهُ في شيء بل قال انهُ روى القصة كما تذكّرها فاذا اخطأ فليس عن قصد منهُ وانهُ كان يظن ان ما حفظهُ في ذاكرته صحيح . ثم نُشر كتابهُ وكتاب المستر بلفور في جريدة القرن التاسع عشر

وفي هذه الحادثة والتي قبلها دليل كافٍ على صحة ما قدمناهُ وهو ان الذين يروون هذه الغرائب قد يعتمدون على اوهامهم فيخدعون انفسهم ويخدعون غيرهم

وفيما نحن نكتب هذه السطور رأينا شاباً من سكان القاهرة عصبي المزاج وهو احد توأمين مشهورين هنا بشدّة المشابهة بينهما وقد مات اخوهُ منذ مدة وجيزة . فقصّ علينا القصّة الآتية قال كان المرحوم اخي يشتغل مع المحامي فلان وكان مستلماً جميع اوراق الدعاوي وقد اخبرني قبل وفاتهِ ان كل اوراقهِ مرتبة في اماكنها . ولكن المحامي جاءني منذ مدة وقال لي ان اخاك استلم اوراق دعوى ذات شأن فيها صكوك من غردون باشا ولا اعلم اين وضعها وقد فتشتُ عنها في مكتبي فوجدت اوراق كل الدعاوى واما اوراق هذه الدعوى فلم اقف لها على اثر فهل اخبرك عنها بشيء قبل وفاتهِ . فقلتُ كلاّ بل قال لي ان كل الاوراق مرتبة في اماكنها . فطلب مني ان امضي الى مكتبهِ واساعدهُ في التفتيش عن هذه الاوراق فذهبتُ وفتشتُ طويلاً فلم اعثر عليها وعدت في المساء متعباً مضطرب الافكار لان المحامي

كان مغتاظًا جدًا من اضاعة هذه الاوراق حاسبًا ان اضاعتها تثلم صيتهُ عدا ما لها من القيمة المالية ولم يحاذر من اطلاعي على ذلك . ونمتُ وانا مشتغل البال فحلمتُ في نومي انني رأيتُ اخي في روض اريض وهو واقف ومسند ظهرهُ الى ساق شجرة فقابلني باشًا وجعلتُ احضهُ على الرجوع معي الى البيت ثم خطرت ببالي اوراق الدعوى فسألتهُ عنها فوضع يدهُ على جبينهِ وتأمل قليلاً كمن يعمل فكرتهُ ثم قال ان المحامي قد اوصاني ان احترس على هذه الاوراق فلم اضعها بين اوراق الدعاوي العادية بل وضعتها بين كتبهِ الفقهية في مكتبتهِ الخصوصية فانك تجدها هناك قال ذلك واختفى من امام عينيَّ . وجاءني في الصباح رجل من قبل المحامي وطلب مني ان اذهب الى المكتب لاستئناف التفتيش فاعتذرتُ عن الذهاب بانحراف صحتي ولكنني قصصت عليهِ الرؤيا وطلبتُ منهُ ان يفتش بين كتب المحامي ففتشوا عنها ووجدوها هناك كما انبأني طيف اخي تمامًا

وهذه القصة على غرابتها لها عندنا تفسير معقول وهو ان المتوفى اخبر اخاهُ عن المكان الذي وضع فيهِ اوراق هذه الدعوى قبل وفاتهِ ولكن اخاهُ كان مشغول البال حينئذٍ فلم ينتبه الى ما اخبرهُ بهِ اخوهُ ولم يتذكر منهُ شيئًا . فلما سمع كلام المحامي وفتش عن الاوراق ولم يجدها تنبهت قواهُ العقلية تنبهًا شديدًا فتذكر وهو نائم ما قالهُ لهُ اخوهُ قبل وفاتهِ ولما تذكر ذلك تذكر اخاهُ فحلم بهِ على الصورة المتقدمة . ولا يخفى ان الانسان كثيرًا ما يسمع خبرًا ولا ينتبه اليهِ فيحسب انهُ لم يسمعهُ قط وهو كما لو رأيتَ عصفورًا يغرّد في قفص فابتهجتَ برؤيتهِ وطربت بتغريدهِ فوقفت هنيهةً تنظر اليهِ ثم سرت في طريقك فانهُ قد يسألك حينئذٍ سائل عن العصفور وتغريدهِ فتصفها لهُ احسن وصف ثم يسألك عن القفص أأخضر هو ام اصفر فلا تذكر شيئًا من امرهِ كأنك لم ترهُ قط مع انهُ يستحيل ان ترى العصفور ولا ترى القفص ولا بدَّ من ان تكون صورة القفص قد وقعت على عينيك واثرت في ذهنك حينما وقعت عليها صورة العصفور وهذه الصورة التي لم تنتبه اليها في الحال قد تبقى في ذهنك اياماً بل سنين قبلما ينتبه اليها العقل ثم ينتبه اليها بغتة

وقد مضى الآن خمس سنوات منذ نشر غرني وميرس كتابها المشار اليهِ آنفًا وانتقدهُ المستر إنس وطلب البينات على صحة الحوادث المذكورة فيهِ . ومن ذلك العهد الى الآن ومجمع المباحث النفسيَّة يبحث و يفتش فلم يمكنهُ ان يثبت حادثةً واحدةً من جميع الحوادث التي ذُكرت في هذا الكتاب ثبوتًا ينفي كل ريب بل لم تحدث حادثة واحدة بعد ذلك في اوربا واميركا واسيا ثبت فيها ظهور الخيالات او التخيلات وانباؤُها بشيء مستقبل ثم وقوع ذلك

الشيء كما انبأت . وقد توفي المستر غرني سنة ١٨٨٧ وخسر العلم بموته خسارة لا تقدّر لانهُ كان من اشهر الباحثين ولكن المستر ميرس رصيفهُ والمستر بدمور الذي ناب منابهُ لم يثبتا حَتَّى الآن شيئًا من دعاوي مجمع المباحث النفسيَّة بل ان المستر بدمور اعترف علانيةً ان مباحث هذا المجمع وكل الحوادث التي تفحَّصها لا تثبت ان بين الاموات والاحياء اقل علاقة . واعترف المستر ميرس ايضًا ان الاحياء لا يؤثر احدهم بالآخر ما لم يكن بينهم اتصال قريب

وخلاصة ما تقدَّم انهُ لم يثبت حَتَّى الآن ان شيئًا من الخيالات خارجي حقيقي وان الروايات التي تنسب امورًا خارقةً الى هذه الخيالات لم تثبت صحة رواية منها حَتَّى الآن . وانهُ لم يروَ عن البشر امرٌ ثبت حدوثهُ في زماننا الاَّ ويمكن تعليلهُ بنواميس العقل ونواميس الطبيعة المعروفة وهذا لا يوجب نفي الخوارق والكرامات والعجائب كما لا يخفى على البصير

هذا وسيجتمع مؤتمر علماء العلوم النفسية في مدينة لندن في الثاني من اغسطس (آب) سنة ١٨٩٢ برئاسة الاستاذ سِدْجْوِك ويكون فيهِ نواب من فرنسا وايطاليا وجرمانيا والدانيمرك وروسيا والولايات المتحدة الاميركية وكثيرون من العلماء الانكليز المشهورين كالدكتور رومانس وغيرهِ وسنُطلع حضرات القرَّاء على ما يكون من نتيجة بحثهِ في هذه المسائل ونحوها

تنبيه * قد نقلنا الحوادث المذكورة في هذه المقالة عن المجلد السادس عشر والثاني والعشرين والثلاثين من جريدة القرن التاسع عشر وعن المجلد الرابع من جريدة النيو رفيو وعن المجلد الاخير من جريدة الارينا وذلك من مقالات كثيرة لغرني وميرس وإنس وسدجوك وولِص وكلهم من الثقات في هذه المباحث

كلام القرود

كان الناس يؤلّهون الحيوان الاعجم ويعبدونهُ ثم ترفَّعوا عليهِ من ايام افلاطون الحكيم ووضعوا بينهُ وبينهم حدًّا لا يتعدَّاهُ . وزادوا في تحقيرهِ رويدًا رويدًا الى ايام الفيلسوف دكارت الفرنسوي الذي حسبهُ آلةً ميكانيكيَّة لا غير . ولكنهم عادوا بعد ذلك يرفعون قدرهُ الى ان ادَّعى علماء البيولوجيا ان الانسان مرتقٍ من الحيوان الاعجم وان اصول عقلهِ موجودة كلها في عقل الحيوان

وبالامس قام الاستاذ غرنر الاميركي وادَّعى ان للقرود لغةً تتكلَّم بها وانهُ تعلَّم هذه اللغة منها وخاطبها بها وحلَّلها بالآلة التي تحلّل كلام الانسان فوجدها مؤلفة من الاصوات التي

يتألف منها النطق عادةً وهاك تفصيل ذلك

قال انهُ قام في نفسهِ منذ عهد طويل ان كل صوت يصوت بهِ الحيوان يفهمهُ كل حيوان آخر من نوعهِ وان الحيوانات تتعلَّم معاني بعض الكلمات التي نخاطبها بها وتعمل بموجبها ولكنها لا تحاول تقليدها ولا تجيب الانسان الاَّ بلغتها الخصوصيَّة . وخطر لهُ انهُ اذا امكنهُ ان يقلّد اصوات الحيوانات لم يتعذَّر عليهِ فهم معانيها ومعرفة ما اذا كانت كلاماً مقصوداً او اصواتاً لاضابط لها

ومنذ سبع سنوات دخل بستان الحيوانات في ولاية سنسنتي باميركا ورأى فيهِ بعض القرود في قفص كبير مقسوم الى قسمين بحاجز بينهما وفي الحاجز باب وكان في احد القسمين قرد كبير من النوع المسمَّى مندريل فكانت القرود التي تراهُ من القسم الآخر تراقب حركاتهِ وسكناتهِ ويخبر بعضها بعضاً بما يراهُ منهُ وتأكد الاستاذ غرنر ذلك بما رآهُ من تغيُّر اطوار القرود التي لا ترى هذا القرد الكبير بحسب تغيُّر اطوارهِ . ثم جعل يراقب القرود في بساتين الحيوانات في نيو يورك وفيلادلفيا وسنسنتي وشيكاغو . وكلما اطال مراقبتها زاد يقينهُ بأن الاصوات التي تصوت بها كلمات لمعانٍ مخصوصة تنطق بها وتفهمها فهي لغة لها وانهُ قد لا يتعذَّر عليهِ ان يتعلَّم هذه اللغة بالصبر والمزاولة كما لا يتعذَّر على الانسان ان يتعلَّم لغة قوم آخرين من مجرَّد سماعهم . ولكن كان عليهِ ان يتعلَّم التلفُّظ بالاصوات التي كان يسمعها وان يحفظها ويستدلَّ على معانيها وفي كل ذلك من المشقة ما فيهِ . فواظب على سماع القرود حيث رآها وتقليد اصواتها زماناً طويلاً

ثم خطر لهُ خاطر جديد وهو ان يفصل قردين احدهما عن الآخر ويقوم بينهما مقام المخبر . فذهب الى مدينة وشنطون وطلب الى حارس الحيوانات ان يسمح لهُ بالفصل بين قردين من القرود التي فيهِ فضحك الحارس منهُ وقال لهُ انكم معاشر العلماء تصدقون كل ما تسمعونهُ وتتوهمونهُ . ولكنهُ انالهُ بغيتهُ وسمح لهُ ان يفصل بين قردين ذكر وانثى ويجري ما يشاء من التجارب العلمية . فوضع فونوغرافاً[1] امام قفص الانثى وكتب بهِ الاصوات التي صاتت بها ثم نقل الفونوغراف الى امام قفص الذكر وادارهُ فصات باصوات الانثى التي انطبعت فيهِ فاندهش الذكَرُ من ذلك وعرف حالاً ان الصوت صادر من قرن الفونوغراف ولمَّا لم يرَ انثاهُ عند ذلك القرن جعل يدخل يدهُ فيهِ ويتفحصهُ ثم جعل ينظر فيهِ نظَرَ من يفتّش عن ضائع وكرَّر ذلك مراراً وكان يبعد عن الفونوغراف ثم يعود اليهِ ويفتش عن

(١) آلة لرسم الصوت والنطق بهِ ثانيةً

اناءهُ وعلى وجههِ امارات الدهشة والانذهال . ثم ادار الاستاذ غرنر آلة الفونوغراف وطبع فيها الاصوات التي سمعها منهُ واخذها الى امام الانثى وادارها امامها فأظهرت انها فهمتها وهذه اول مرة كُتبت فيها اصوات القرود

وذهب بعد مدة الى بستان الحيوانات في مدينة شيكاغو وكتب كثيرًا من اصوات قرودهِ بالفونوغراف ومضى الى بستان الحيوان في سنسنتي وكتب ايضًا اصوات قردين من نوع الشمبنزي وعاد الى بيتهِ وجعل يكرر هذه الاصوات بالفونوغراف ويمارس النطق بها الى ان ألفها جيدًا وصار ينطق بها بوضوح . فعاد الى بستان الحيوانات في سنسنتي وشيكاغو وخاطب قرودها بها فرأى انها تفهم صوتهُ جيدًا

وذات يوم اتى ببعض اصدقائهِ ووقف معهم امام قفص قرد من هذه القرود وخاطبهُ بالكلمة التي ظن ان معناها لبن فلما نطق بها نظر القرد اليهِ فاعاد الاستاذ غرنر الكلمة فنطق بها القرد ايضًا والتفت الى اناء في قفصهِ يشرب منهُ فكرر الاستاذ الكلمة ثالثة فاخذ القرد الاناء بيدهِ وادناهُ منهُ وهو يكرّر الكلمة عينها فجاءهُ الحارس بقليل من اللبن وصبهُ في الاناء فشربهُ مسرورًا وهو ينظر الى الاستاذ غرنر ويكرّر تلك الكلمة وكان كلما فرغ الاناء يكرر الكلمة الى ان ثبت للاستاذ غرنر والحضور معهُ ان القرد يدلُّ بهذه الكلمة على اللبن

وكان الاستاذ غرنر قد تعلم كلمة اخرى وحسب ان معناها الأكل فذكرها لاصحابهِ ثم اقترب من القفص وارى القرد موزةً فلما وقع نظرهُ عليها نطق بهذه الكلمة عينها وظهر انهُ ينطق بهذه الكلمة اذا رأى تفاحًا او كرزًا او خبزًا او موزًا دلالةً على انهُ يريد بها الطعام مطلقًا او الاكل بمعناهُ المصدري . ثم نطق امامهُ بكلمة ظن ان معناها الالم او المرض فظهر انهُ يفهمها بمثل ذلك ونطق امامهُ بكلمات أخرى مما تعلمهُ من الفونوغراف فتحقق معنى بعضها ولم يتحقق معنى البعض الآخر

ومضى الى بستان الحيوانات في سنسنتي ودنا من قفص احد القرود وخاطبهُ بالكلمة التي معناها لبن فنهض القرد حالاً ودنا منهُ واعاد الكلمة نفسها ولكنهُ نظر اليهِ نظر المرتاب لانهُ لم يرَ معهُ شيئًا فعاد الى مكانهِ . فكرّر الاستاذ هذه الكلمة فنهض القرد وكرّرها واخذ اناء صغيرًا كان في قفصهِ وادناهُ من الاستاذ وهو يكرّر هذه الكلمة . فسأل الحارس ان يأتيهُ بقليل من اللبن فلم يكن عندهُ لبن فاتاهُ بكأس ماء فجعل القرد يغط اصابعهُ في الماء ويلحسها لان الاستاذ غرنر لم يدعهُ يشرب من الكاس ثم ابعد الكأس عنهُ فجعل يكرر تلك

الكلمة عينها فظهر انهُ يريد بها الماء ايضًا . ثم ظهر من تجارب أُخرى ان القرود تريد بهذه الكلمة اللبن والماء والشرب مطلقًا وربما عنت بها العطش ايضًا

اما الكلمة التي معناها طعام فهي مثل كلمة هُوُو وتلفظ بان يضمَّ الانسان شفتيهِ كأنهُ يريد الصفير ويؤَخر لسانهُ الى نحو حلقهِ ويتلفَّظ بها نخفًا . ونغمة الصوت مثل نغمة هدير الحمام والكلمة التي معناها شرب او عطش مثل كلمة خِيو بخاء مرخمة جدًّا ونغمتها اعلى من نغمة الكلمة التي معناها طعام

وتعلَّم الاستاذ غرنر كلمة اخرى معناها الخوف وامتحنها باحد القرود وكان هذا القرد اليفًا جدًّا وكان يطعمهُ بيدهِ فلما نطق بها ذعر القرد حالاً وهرب الى قمة قفصهِ وهو يرتجف فزعًا وحاول الاستاذ غرنر اغراءَهُ بالنزول اليهِ ثانيةً فلم ينزل فابتعد عن القفص مسافة عشرين قدمًا وجاء الحارس الى القفص ونادى القرد فنزل اليهِ وفيما هو يلاعبهُ نطق الاستاذ غرنر بصوت الخوف فذعر القرد حالاً وهرب الى اعلى القفص ولم يعُد ينزل ثانيةً . ومن ثمَّ صار هذا القرد يهرب كلما رأى الاستاذ غرنر ولو لم ينطق بصوت الخوف . وهذا الصوت لا يُكتَب ولكن يمكن النطق بهِ بان يضع الانسان شفتيهِ على ظهر يدهِ ويبوسها بوسًا بصوت طويل متموّج ونغمة هذا الصوت عالية جدًّا مثل نغمة اعلى (فا) حادَّة على البيانو

واستنتج الاستاذ غرنر من بحثهِ في هذا الموضوع حتَّى اواسط الصيف الماضي قضايا كثيرة نذكر منها ما يأْتي

اولاً ان في لغة القرود ثمانية اصوات او تسعة يمكن تنويعها بالترخيم والتفخيم حتَّى تصير عشرين او ثلاثين صوتًا

ثانيًا ان هذه الاصوات متوسطة بين الصفير واصوات الحروف الصحيحة ويمكن حصرها في اربع سلالم من السلالم الموسيقية وتنطبق كلها على الفا الحادَّة في البيانو

ثالثًا ان الصوت الاكثر استعمالاً هو صوت الواو الممدودة ويتلوهُ كثرة صوت الياء الممدودة ايضًا

رابعًا ان الاصوات الصحيحة قليلة في نطق القرود وخفيَّة

خامسًا ان لكل طائفة من القرود لغةً خاصة بها تختلف عن لغة غيرها لفظًا ومعنًى

سادسًا ان الكلمات كلها قليلة المخرج وليس فيها علامات للنفي

سابعًا انهُ اذا وضع قردان مختلفان في قفص واحد يتعلَّم كلٌّ منهما ان يفهم لغة الآخر ولكنهُ لا يتعلم النطق بها فيفهم كلام صاحبهِ ويجيبهُ بلغتهِ الخاصَّة

ثامنًا ان القرود تستعمل شفاهها في النطق كالبشر

تاسعًا ان لغاتها مناسبة لاحوالها العقليَّة والمعاشيَّة

عاشرًا ان ارقى انواع القرود لغةً اكثرها ائتلافًا واجتماعًا

وكتب الاستاذ غرنر في شهر نوفمبر الماضي يقول انهُ وجد لدى استئناف البحث والتحقيق ان الكلمة التي فسَّرها طعامًا تحتمل ايضًا معنى اللذة والسرور واللطف . وقال انهُ حاول مصادقة القرد الذي نفَّرهُ قبلاً بصوت الخوف ولما لم يذعن الى التملق عاملهُ بالقسوة فقابل الجفاء بالجفاء واخيرًا اذعن للعصا وصار كلما اهوى عليهِ ليضربهُ يضع رأْسهُ على الارض ويمد لسانهُ ويصوت صوتًا رخيمًا كأَنهُ يستغيث بهِ او يسترضيهِ وبقي نافرًا من الاستاذ غرنر لا يقرب منهُ الاَّ كرهًا . ثم رأى قردًا آخر اليفًا وفيما كان يطعمهُ من صحفة حاول القرد اخذ الصحفة بيدهِ فلم يعطهِ اياها بل صفعهُ صفعًا مؤْلمًا فوضع القرد رأْسهُ على الارض حالاً ومدَّ لسانهُ وصات مثل الصوت الذي صاتهُ القرد الاول لما ضربهُ فاستنتج من ذلك ان وضع الرأْس على الارض ومد اللسان وهذا الصوت هي علامات الخضوع عند القرود

وكان القرد الاول يكرهُ ولدًا زنجيًا لانهُ كان يغضبهُ كثيرًا فكان اذا رآهُ يترك كل شيء ويهجم عليهِ كأَنهُ يريد تمزيقهُ فجعل الاستاذ غرنر يتظاهر بضرب هذا الولد ويدنيهِ من القرد لكي يخمشهُ ويمزق ثيابهُ فيسر القرد بذلك ويبتهج حتى يكاد يطير فرحًا ثم جعل الاستاذ غرنر يطرد الولد ويتظاهر بضربهِ وايلامهِ فيبتهج القرد بذلك ومن ثم عاد اليفًا كما كان اولاً وصار يحسب الاستاذ غرنر من اعز اصدقائهِ وجعل يدنو منهُ ويلحس يدهُ ويلعب باصابعهِ ولا يدع احدًا يقترب منهُ الاَّ نبَّههُ الى ذلك

وذات يوم كان الاستاذ غرنر يلاعبهُ على عادتهِ فوقف ولد وراءهُ ومدَّ عصًا لكز بها القرد خفية فاندهش من ذلك لانهُ لم يصدق ان الاستاذ غرنر يلكزهُ ثم لكزهُ الولد ثانية وثالثة وفي المرَّة الثالثة رآهُ وراء الاستاذ فعرف انهُ هو الذي لكزهُ بالعصا فوثب عليهِ كأَنهُ يريد افتراسهُ وبقي الولد يغضبهُ وهو يهجم عليهِ ويحاول امساكهُ وفيما هو يفعل ذلك امسك يد الاستاذ غرنر خطا وعضها وعرف خطاءهُ حالاً فوضع رأْسهُ على الارض ومدَّ لسانهُ وجعل يصوت بالصوت المشار اليهِ آنفًا فثبت من ذلك انهُ يريد الخضوع والتذلل والاستغفار

ورأى الاستاذ غرنر قردةً صغيرة شديدة النفار وقال لهُ حارسها انها قلما تأْلف احدًا وحذَّرهُ منها فكلمها بلغة القرود فدنت منهُ وجعلت تأْكل من يدهِ وهي تنظر اليهِ متعجبة

وحينئذٍ انت فتاة زنجيّة كانت القردة تألفها فعزم الاستاذ غرنر ان يضحي صداقتها على مذبح العلم و يوقع النفرة بينها فجعل الفتاة بينهُ و بين القردة وصاح بصوت الخوف وكرَّر الصوت فارتاعت القردة وارتجفت فرائصها وجعل الاستاذ غرنر يتظاهر بضرب الفتاة وإبعادها عن القفص فهربت من وجهِهِ وثبت عند القردة ان الفتاة هي التي خوَّفتها فلم تعد تألفها

و بعد مدَّة وجيزة مضى الى سنسنتي ورأى القرود التي من نوع الشمبنزي وهي التي رآها في العام الماضي فخاطبها بالكلام الذي تعلمهُ منها قبلاً فرأى انها تفهمهُ وقال ان لها اصواتًا اكثر من اصوات القرود التي تعلّمَ اصواتها قبلاً (وتلك من الطائفة المسماة كبوشين) وكل اصواتها يمكن الانسان ان ينطق بها انتهى . ولم يزل هذا الاستاذ آخذًا في البحث والتنقيب وسنوافي القراء بما يكون من نتيجة بحثهِ .

هذا وإذا تمكّن الاستاذ غرنر من اثبات النطق للحيوان الاعجم فلا يكون قد ازال الفاصل الحقيقي بين الانسان والحيوان وهو الفصل بالنفس الخالدة فان الحيوان الاعجم يشارك الانسان في مزايا كثيرة اسمى من النطق فيستدل استدلالاً يقرب من استدلال الانسان ان لم يكن مثلهُ تمامًا فاذا ضربتهُ بعصًا فالمتهُ صار يهرب منك كلما اهويت عليهِ بها او بعصًا اخرى غيرها . و يتعلمّ بالاختبار و يورث اختبارهُ لنسلهِ فقد ثبت ان الطيور الساكنة في جزائر مقفرة لم تكن تخاف من الناس اول ما دخلوها بل كانت تقع على بنادقهم كما تقع على اغصان الاشجار فلما اكثروا من صيدها بها صارت تخافهم وتهرب منهم والثعالب التي لا تخاف من الفخاخ اول ما توضع لها لا يمضي عليها زمان طويل حتّى تصير تجتنبها هي واجراؤها . والحيوان يتآلف و يتعاون و يحارب بعضهُ بعضًا و يستعبد بعضهُ بعضًا و يبني المنازل و يشيد الجدران و يخيط البيوت و يحفر الاسراب و يصنع لها ابوابًا ومزاليج . و يحب و يبغض و ينتقم و يعاقب و يثيب و يحرص و يذخر للغد و يقيم القواد والقضاة الى غير ذلك من الاخلاق العقلية والادبية والاجتماعية وكل ذلك بسطناهُ في فصول مستفيضة في الكلام على النحل والنمل والغرائز والتعاون . وفي الاشارة الى طبائع النمل غنًى عن التفصيل . فاذا انكرنا النطق على الحيوان لا نكون انكرنا عليهِ صفةً اسمى من هذه الصفات وإذا اثبتناهُ لهُ لا نكوّن قرّبناهُ من نوع الانسان بل يبقى الفصل بين الانسان والعجماوات بالنفس الخالدة صفةً مميزة لنوع الانسان وانما نكون قد ازلنا فاصلاً وضعهُ الفلاسفة والمناطقة لنقص في استقرائهم ومع ذلك لا يسعنا الاَّ الإعجاب بهمّة هذا الرجل وتدقيقهِ في مباحثهِ

نواميس الكون وقدرة الخالق

قيل ان احد ملوك الانكليز دخل المجمع العلمي ذات يوم وطرح على اعضائهِ هذه المسألة وهي لماذا يزيد ثقل اناء الماء اذا وضعت فيهِ سمكة ميتة ولا يزيد اذا وضعت فيهِ سمكة حيَّة فاخذ الاعضاء يتمحَّلون الاسباب لذلك ويتفننون في طرق التعليل ويؤلفون المقالات والشروح الطوال الى ان خطر لواحد منهم ان يضع سمكةً في اناء فيهِ ماء فوجد ان ثقل الاناء يزيد قدر ثقل السمكة سواء كانت حية او ميتة فذهب تعب اولئك العلماء في الشرح والتعليل عبثًا . ومن قبيل ذلك ما يُروى عن اراغو العالم الفلكي الشهير وهو انهُ اتى المجمع العلمي الفرنسوي مرةً وكان الاعضاء مجتمعين فيهِ فرأى امام الباب جرَّةً فيها ماء والشمس مشرقة على جانب منها وهو سخن بحرارة الشمس والجانب الآخر بارد فادار الجرَّة حتَّى صار جانبها البارد في الشمس والحار في الفيء ثم دخل المجمع وقال للاعضاء انني رأيت الساعة عجبًا وهو جرة جانبها الذي في الشمس بارد والذي في الفيء سخن فما عسى ان يكون سبب ذلك فخرج الاعضاء ورأوا الجرة فاذا هي كما قال فاتوا بآلات قياس الحرارة وجعلوا يقيسون حرارتها وبرودتها والَّف بعضهم المقالات الضافية الذيول في تعليل هذه الحادثة الغريبة ولم يتفقوا على البحث والتعليل حتَّى دخل الخادم واخبرهم ان اراغو ادار الجرَّة بيدهِ قبلما دخل المجمع

وما حدث في المجمع العلمي الانكليزي وفي المجمع العلمي الفرنسوي يحدث يومًا بعد آخر في جهات مختلفة من المسكونة فيختلق أُناس الخوارق عن قصد او غير قصد ويلقونها على العلماء طالبين منهم تعليلها فلا يكون جواب العلماء عليها الاَّ طلب اثباتها اولاً فان أُثبتت اثباتًا ينفي كل ريب نظروا بعد ذلك في علتها وفي الغالب توجد علتها في نواميس الكون المعروفة . ويراد بنواميس الكون القوانين التي رأينا المادَّة خاضعة لها او جارية بحسبها كقولنا ان الجسم المرن ينعكس عمَّا يقع عليهِ وتكون زاوية الوقوع وزاوية الانعكاس متساويتين واذا غاص جسم ثقيل في الماء خفَّ ثقلهُ بمقدار ما يعادلهُ من الماء واذا فركت الكهرباء صارت تجذب الاجسام الخفيفة واذا أُحمي قضيب من الحديد طال واذا برد قصر الى غير ذلك من الاحكام المدوَّنة في كتب العلوم الطبيعية . فاذا روى لنا احد حادثة مخالفة لهذه النواميس او مناقضة لها كأن قال رأيت جسمًا مرنًا يقع على جسم آخر مرن ولا ينعكس عنهُ او ينعكس عنهُ بزاوية اكبر من زاوية الوقوع او رأيت جسمًا يغوص في الماء ولا يخف بل يثقل

ورأيت الحديد يقصر اذا أُحمي لم نكن مطالبين بتصديقهِ لاسيَّما وان كثيرين رووا اموراً خارقة مثل هذه ثم ثبت انهم كانوا مخدوعين او خادعين . واما اذا رأى هذه الحوادث جمهور من العلماء المجرّبين وكرّروا البحث والتنقيب فوجدوا انها صحيحة لا مرية فيها لزمنا تصديقهم وتعليلها بالنواميس الطبيعيَّة المعروفة فاذا كفت لتعليلها فبها والاَّ وجب ان نسلّم بوجود نواميس اخرى تعلّل بها . مثال ذلك ان المعدن يتمدّد اذا سخن و يتقلّص اذا برد و بعد ان ثبت ذلك بالاستقراء ونقرّر في كتب الطبيعيات وجد بعض العلماء ان النكل والكوبلت ومعادن اخرى تتمدّد حينما تبرد اكثر مما كانت متمددة وهي سخنة سائلة ولدى اعادة البحث والتنقيب وجد ان ذلك ناموس عام لجميع المعادن التي تسيل بالحرارة ثم تتبلور حينما تبرد فان جرمها يكبر قليلاً حينئذٍ مع انها تكون ابرد منها وهي سائلة

كذلك من النواميس المقرَّرة ان جميع الحيوانات اما ذكور واما اناث واما خناثى وان الاناث لا تلد ما لم تتزاوج هي والذكور . وقد رأى العلماء منذ مدة ان نوعاً من الحشرات تلد اناثاً بدون مزاوجة الذكور وتكون اولادها اناثاً فقط فتلد بلا ذكر وهكذا الى ان تلد اناثاً وذكوراً فتتزاوج وتلد اناثاً فقط وهذه تلد اناثاً اخرى وهلمَّ جرّاً الى ان تلد اناثاً وذكوراً . فلهذه الحشرات ناموس خاص بها يخالف الناموس العام . وجميع الموجودات سواء كانت جماداً او نباتاً او حيواناً وسواء كان الحيوان ناطقاً او غير ناطق جارية بموجب نواميس سنّها لها الخالق سبحانهُ واذا رأينا نوعاً منها جارياً على غير النواميس المعروفة فلهُ ناموس آخر كان غير معروف عندنا فنعدّهُ حينئذٍ بين النواميس المعروفة . وعليهِ لا يستطيع احد من العلماء ان يحتم بان النواميس المعروفة الآن هي كل نواميس الكون ولا يمكن ان يوجد ناموس آخر غيرها . ولكن العلماء لا يسلّمون بكل دعوى ولاسيَّما اذا كانت مخالفة للنواميس المعروفة ما لم يتأكدوا صحتها اولاً . فان قال قائل انني وجدت نوعاً من الدود يعيش في النار ولا يموت وجب الحذر من التسليم بصحة قولهِ لانهُ مخالف للنواميس المعروفة واما اذا ثبت بالامتحان المتواتر ان هذا الدود يعيش في النار وجب التسليم بذلك و يكون لهذا النوع من الدود ناموس خاص بهِ او يكون ثمَّ اسباب اضافية ابطلت فعل النار بهِ كأن يفرز الدود وهو في النار مادَّةً غير موصلة للحرارة فتقيهِ فعل النار بهِ

وقولنا ان كل ما في الكون تابع لنواميس مقرَّرة لا يفيد اننا نعرف كل هذه النواميس فاننا نعرف اليوم من نواميس الكون اكثر من اسلافنا ولا يبعد ان نعرف غداً اكثر مما نعرف اليوم . ولا يفيد ايضاً اننا نعرف كل نتائج هذه النواميس لانهُ متى تعدّدت الفواعل فالصور

الحادثة من تعددها كثيرة جدًّا تفوق الحصر مثالهُ ان جلمود الصخر الذي يحطّهُ السيل من علٍ يعرّض لناموس الجاذبيَّة والاحتكاك وفعل الماء والهواء الميكانيكي والكيماوي وفعل الحر والبرد والميكروبات المختلفة فتنفعل بهِ على ضروب شتّى بحسب كثرتها وقلتها وكبرهِ وصغرهِ وصلابتهِ ولينهِ حتّى يندر ان يوجد حجران بشكل واحد تمامًا فيتعذر علينا ان نعرف مصير هذا الحجر او نتيجة فعل هذه الفواعل بهِ. ولا يفيد ايضًا انهُ يستحيل على الخالق سبحانهُ ان يخالف هذه النواميس متى اراد . ولكنَّ العلماء في ذلك على قسمين قسم يقول ان المخالفة المذكورة هي ناموس آخر غير معروف عندنا وقسم يقول بل هي خروج وقتي عن النواميس الطبيعيَّة لغاية خصوصية ولكنَّ القسمين متفقان على وجوب البحث والتدقيق عن صحة حدوث المخالفة المذكورة قبل التسليم بها . والناس كلهم خاصتهم وعامتهم جارون على هذه القاعدة في جميع معاملاتهم فاذا قال لهم قائل ازرعوا النمل في اطيانكم فينبت غنمًا لم يصدقوهُ ولم يتكلّفوا مؤونة الامتحان لان قولهُ هذا مخالف لاختبارهم واختبار اسلافهم واختبار الناس عمومًا . واذا قال لهم اخلطوا القمح بالزيت وازرعوهُ فينبت قطنًا لم يصدقوهُ ايضًا لانهُ مخالف لاختبارهم واختبار غيرهم واذا قال بلّوا الذرة الشامية بقليل من الخل وازرعوها فتنبت ذرة اميركية قبل بعضهم قولهُ وحسبوا انهُ يستحق الامتحان . وكذا اذا قال قائل اطعموا الخيل ملحًا فقط فتسمن لم يصدق قولهُ احد واما اذا قال اخلطوا علفها بقليل من الملح وكسب القطن فتسمن ويلمع جلدها قبلوا قولهُ وحسبوا انهُ يستحق الامتحان

ولا يحق لاحد ان يحكم حكمًا باتًّا باستحالة حادثة من الحوادث الّا اذا كانت مناقضة للبديهيات فوجود الدودة الحيَّة في قلب بلاطة الفرن الذي سُئلنا عنهُ منذ ثلاثة اشهر غير مناقض للبديهيات فهو غير مستحيل ولكنهُ مخالف لكل النواميس المعروفة فيمكننا ان نقول انهُ « يكاد يكون ضربًا من المحال » كما قلنا في الجزء الاوَّل من هذه السنة . ولا بدَّ من الحذر في تصديق كل ما يروى من هذا القبيل الى ان يتفق لعلماء الحيوان والحياة تمحّص هذه المسائل جيدًا . وقس على ذلك جميع الخوارق فان كتب الوثنيين والهمج والسذَّج مشحونة بها واذا صدقنا عشر معشارها لزمنا ان نؤلّه الحجارة والانهار والاشجار فلا يليق بعاقل ان يسلّم بصحة شيء منها ما لم تقم عندهُ ادلة مقنعة على صحتهِ

هذا وقد كتب الينا احد الادباء رسالة طويلة مفادها انهُ لا يجوز لنا الارتياب في وجود الدودة حيَّة في بلاطة الفرن لئلا نكون قد ارتبنا بقدرة الله الذي شفق عليها وحفظها حيَّة . فلتكن هذه النبذة جوابًا لهُ ولامثالهِ

الحسب والنسب

لجناب جرجس افندي خولي

يراد بالحسب ما ينشئهُ الرجل لنفسهِ من المآثر وبالنسب ما يرثهُ عن آبائهِ من الشرف فاطلاقهما معًا على مَنْ ليس لهُ شيءٌ يُؤْثَر بمثابة اطلاق الكرم على البخيل والشجاعة على الجبان. فلذا يُشترَط في قولنا زيد "حسيب نسيب" ان يكون مقتفيًا اثر آبائهِ وسالكًا بمقتضى الشرف الذي ورثهُ عنهم

ولا مراء ان المعتبر في هذا المقام انما هو الحسب لانهُ قاعدة المجد ودعامتهُ . فالعائلة التي نعدُّها الآن ذات حسبٍ ونسبٍ لم تكن كذلك الاَّ بعد ان اسَّست لنفسها دعائم الحسب ومن ثمَّ أُتيح لابنائها ان يتقلَّدوا المفاخر خلفًا عن سلفٍ حتَّى اناخ النسب عندها مطاياهُ . فالنسب حالة تتولَّد من الحسب تقوم بقيامهِ وتضمحلُّ غالبًا باضمحلالهِ

اذا تأمَّلنا في حالة زيدٍ من حيثية اعمالهِ الشخصيَّة العائدة عليهِ اما بالشرف واما بالذل رأيناهُ على حالةٍ من اثنتين ونعبّر عن الاولى الدَّالَّة على الشرف بالحالِيَة وعن الثانية الدَّالة على الذل بالعاطِلَة . ثمَّ اذا زدنا على ذلك بان نظرنا ايضًا في حالتهِ من حيثية اعمال آبائهِ رأيناهُ كذلك على حالةٍ من اثنتين امَّا حالِية واما عاطلة . ومعلوم ان هاته الحالة متَّصلة اليهِ بالارث بحيث لا يجد لهُ منها مناصًا . فلذا يتمشَّى اعتبارهُ بين قومهِ على مقتضى الحالتين اي الحالة الناشئة عنهُ والاخرى التي اوصلها اليهِ الارث

ومعلوم ان هاتين الحالتين تتفقان من حيث التعبير المذكور آنفًا في شخصٍ وتختلفان في آخر بحيث ينشأُ عن ذلك اربع حالات كبرى . فان اتفقتا كانتا امَّا حالِيَتين فيكون الانسان حسيبًا نسيبًا واما عاطلتين فيكون لا حسيبًا ولا نسيبًا وان اختلفتا فكانت احداهما حالية والاخرى عاطلة كان الانسان حسيبًا فقط او نسيبًا فقط . وهناك حالات اخرى اضافية لا نطيل الكلام بذكرها بل نتقدم الى وصف الحالات الاربع المتقدمة . ونبتدئُ بذكر كل حالة من الحالات الاربع على حدةٍ ناظرين في ترتيب مواضعها

الحالة الاولى — هي حالة الحسب والنسب الخطيرة الشان الرفيعة المكان المعتبرة من قدم الزمان . ولطالما مدحها المادحون وتنافس فيها المتنافسون حتَّى عدَّها شيخ فلاسفة القدماء من الكمالات الدنيويَّة التي جعلها قسمًا من اقسام السعادة . ولا جرم انها الحالة المتناهية في عظم القدر ورفعة المقام وممَّا يُعزّز مكانها تعذُّر الحصول عليها لانها منحصرة في

عيال مخصوصة لا مطمع فيها لعيالٍ أُخرى الّا اذا حرص رجالها على المكارم وشهدت لهم السنون باستمرار الفضائل . اما اصحابها فهم على جانبٍ عظيم من الشهامة وعزّة النفس ولهم الاعمال العظيمة والمآثر الجليلة والايادي البيضاء وعنهم يروى الكرم والسخاء وهم ذوو الأثال المتوارثون المجد كابرًا عن كابر . وناهيك بهم رجالاً ادباء مفطورون على دماثة الاخلاق ولين العريكة والخصال الحميدة . ولا ننتقل منها الى ذكر الحالة الثانية ما لم نذكر شيئًا عمّا يتعلّق بالحالات المضافة اليها

فالحالات المضافة الى هذه الحالة قائمة على حسبٍ مشوبٍ باللؤم ويُعرَف بالحسب المقشّب . وعلى نسب قريب الاباء من الجد الاكبر او قليلهم في السؤدد والصلاح . ويُعرَف الاول بالنسب الأقعد والثاني بالنسب المِيكَسَل او على غيرهما ممّا هو بعيد عن النسب الذي كنا بصددهِ

الحالة الثانية — هي الحالة العظيمة الشان التي يسعى اليها كلُّ مَن هذّبتهُ الحقائق وتحلّى بهِ العصر . اما ذووها فهم من عظماء الرجال واكابرهم الذين طار صيتهم في الآفاق . فما من مأثرةٍ الّا ولهم فيها اليد الطولى وما من عملٍ عظيم الّا وهم اربابهُ . فلا يشينهم كونهم لم يرثوا المجد عن آبائهم لان شجرة اعمالهم العظيمة القائمة في وسط حديقة مفاخرهم الغرّاء تغنيهم عن شجرة النسب . ويتألفون من ثلاث طبقات . طبقة البسلاء . وطبقة العلماء . وطبقة الاغنياء . ولكل منها شأن مذكور في مراتب المجد السامية . اما ذوو الطبقة الاولى فهم رجال الحرب الذين يرتقون ببسالتهم الغريبة واقدامهم العجيب الى اعلى ذرى المجد ولعلهم هم الذين شعروا بادىء بدء بلذة العزّ وادركوا كنههُ قبل ان يُعرَف لهُ معنى بين الناس فهيأوهُ واسّسوا دعائمهُ في تلك الازمنة المتوغّلة في القدم ايام كان الانسان بسيطًا ساذجًا . ولا عجب فان هذه الطبقة لأقدم الطبقات التي نجم عنها الحسب والنسب . واما اصحاب الطبقة الثانية فهم رجال العلم الذين يخدمهم علمهم بمقدار خدمتهم للانسانية . ولا حاجة الى وصف ما لاصحاب هذه الطبقة من المنزلة المتناهية في الرفعة لان شهرتهم تقضي بالغنى عنهُ . واما رجال الطبقة الثالثة فهم الذين يبذلون البيضاء والصفراء في سبيل المفاخر ويتبوّأون عرش المجد رغمًا عن كل مكابر . ولا بدعَ فانهم ذوو الاخلاق الكريمة والمناقب العالية والايادي البيضاء والاكف النديّة والواسعو العطاء الحريصون على صنع الجميل . ولا يقرع صفاتهم قارع الّا وينثني خجلاً ولا يباريهم في مضمار الفخر مبارٍ الّا ويرجع خاسرًا . يجلسون في صدر المحافل والمجالس ويندفعون في الاعمال الخيريّة والمنافع العمومية اندفاع السيل

الفائض. لا تثنيهم كثرة النفقة عن مقاصدهم العالية لان شأنهم الكمال ودأبهم الشرف. ومعلوم ان رجال هذه الطبقة قليلون جدًّا. لانهُ ليس كل غني يسمح ببذل الدينار الذي هو بحسب اعتقاد الاكثرين النفس والنفيس معًا

اما الحالات المضافة الى هذه الحالة فكثيرة ولكنها على كثرتها واختلاف درجاتها تفضّل من حيثية السعي والعمل على غيرها ممّا يضاف الى الحالات الاخرى اذ من خصائص اصحابها الاهتمام بتحصيل ما يمكنهم تحصيلهُ من المجد لانهم لما كانوا غير حاصلين عليهِ بالارث كان من شأنهم السعي وراءهُ. وما من ساعٍ لابتناء المناقب واحراز الذكر الجميل الّا ويمكنهُ مهما كانت الحال ان يحصل على ما يؤهّلهُ للجلوس في مجالس الفخر ولو في آخر المصاف

الحالة الثالثة — حالة النسب الموروث عن الآباء القائمة على ما ابقاهُ الدهر ممّا هنالك من ابنية المفاخر المتهدّمة · وهي كريمة واصحابها ممّن ادّبهم الغنى واذلّهم الفقر ولذلك يكونون على جانبٍ من حسن المعاشرة واللطف · يدلّ على سؤددهم القديم ما يبدو منهم من المروءة والشهامة · غيران اقتصارهم على تذكار الفخر بهاتيك الاطلال والرسوم يغرّ بهم ماديًّا وادبيًّا

ويضاف الى هذه الحالة حالات كثيرة مختلفة الدرجات وكلها قائمة على دعوى النسب على حين ليس لها من النسب ما يستحق الذكر او يستدعي الالتفات اما اصحابها فهم على غايةٍ من العزوة والتمدّح والعُجب حتّى انهُ ليوجد بينهم من كلّ عُطلٍ مَن اخذت منهُ الخيلاء كلّ مأخذ . ومن الغريب انهم على ما هم عليهِ من ضعف النسب لا يعتبرون المجد مجدًا الّا اذا كان موروثًا وربما اعتقدوا ان هذا الموروث لا يغرّهُ شيء من الشوائب ولذا ساغ لهم ان يتقاعدوا عن السعي وراء الشرف وان يعدوا انفسهم شرفاء كيفما كانت الحال . وقد فاتهم ان اصل المرء ما حصل وان الضابط المعوّل عليهِ في هذا المقام هو ان الانسان ابن الحال

الحالة الرابعة — هي حالة العدم اي التي لا حسب فيها ولا نسب واصحابها يُعدّون من سقط المتاع وهم الحثالة الذين يضيقون الاسواق ويكدرون الموارد . ولذلك لا يُظنّ بوجود حالات تضاف اليها لاسيما وان اصحابها انفسهم يتبرّأون منها على الغالب

فتذكّر ايها الشرقي مجد الآباء والجدود ولكن لا تنسَ ان اولئك الجدود انما حصّلوهُ بالسعي والعمل ايام أسّست ممالك الشرق على مبادىء العدل والحرية وبنى مؤسسوها علاليّ وقصورًا على أسس المفاخر حتّى اضحوا عمادًا للآداب ومنارًا للعلم وعنوانًا للفضل بينما

كان غيرهم ممن نستضيء الآن بنبراس آدابهم ومعارفهم في حالة الهمجيّة . وانت عالم " ان هؤلاء ايضًا لم يرتقوا اخيرًا الاّ بعد ان هبّوا من غفلة الجهل وتجافوا عن مضاجع الخمول مقتدين باولئك الفضلاء الذين لم يبقَ لنا القعود عن احتذاء مثالهم سوى رؤية آثارهم والاستدلال بها عليهم على حد قول الشاعر

ان آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

الاّ ان الاقتصار على الفخر بهاتيك الآثار مضرٌّ لانهُ يولّد حُبّ المخرفة التي تعبث بالصفات الادبية وتفضي بصاحبها الى النفر . وهذا شأن اكثرنا مذ فقدنا بضاعة الجدود واقتصرنا على تذكار الفخر حتّى صار الادعاء فينا شيئًا فطريًّا . وخلاصة القول ان الاقتصار على تذكار الفخار من شرّ الامور وان الفخر الحقيقي هو الذي ينشأ عن السعي والعمل

تسهيل الطباعة

لو وضعت مخترعات الانسان في جدول ورُتّبت فيهِ بحسب نفعها ولزومها للعمران لكانت الكتابة في صدر الجدول حتّى لقد ظنّ البعض انها إلهامٌ الهي لا اختراعٌ انساني . والحقيقة ان الناس توصّلوا اليها تدريجًا شأنهم في جميع المخترعات العظيمة وتقدّموا فيها تقدمًا بطيئًا وكان يتخلّل تقدمهم فترات يقفون فيها او يتقهقرون كما هو شأنهم في كل الاعمال الى ان استنبطوا الطباعة فكان من نتائجها ما نشاهدهُ في عصرنا من رخص الكتب والجرائد وكثرة انتشارها . فالمقطم الذي ننشرهُ يوميًّا لا يستطيع اثنان كتابة نسخة كاملة منهُ في يومها فما قولك في الفين او ثلاثة آلاف نسخة تطبع منهُ في بضع ساعات من غير ان يقع فيها خطا او تحريف بل ما قولك في جريدة مثل جريدة التيمس يُطبَع منها في اليوم سبعون او ثمانون الف نسخة وفي كل نسخة عشرون صفحةً او اكثر من الصفحات الكبيرة الدقيقة الحروف

وقد تقدّمت الطباعة من حين استنبطها غوتنبرج او كوستر الى الآن وكان اكثر تقدمها محصورًا في اتقان آلات الطباعة نفسها وسبك الحروف و بقي فيها فرع لم يتقدّم قط وهو جمع الحروف وترتيبها بعضها مع بعض حتّى تتركّب منها الكلمات والسطور والفصول . فاذا دخلتَ مطبعةً تجد فيها جامع الحروف قائمًا امام صندوق كبير فيهِ بيوت صغيرة لكل الحروف والارقام فيجمعها حرفًا حرفًا بصبر وتأنٍّ و يصفّها في مصف من الحديد او النحاس حتّى اذا بلغ آخر السطر شدّهُ بفروق من الرصاص ادخلها بين كلماتهِ وعاد يجمع سطرًا

ثانيًا وثالثًا وهلمّ جرًّا الى ان يمتلئ المصف فينقل السطور الى المحط و يوالي الجمع في المصف والنقل الى المحط الى ان يجتمع عندهُ صفحة من الكتاب او عمود من الجريدة فيضمهُ الى غيره من الصفحات او الاعمدة و يصححها و يركبها على المطبعة لتطبع عنها الكتب او الجرائد ثم تغسل وتفرق حروفها حرفًا حرفًا في بيوتها وهلمّ جرًّا

وجمع الحروف متعبٌ مملٌ لا يمهر فيهِ الانسان الاّ بعد ان يزاولهُ سنتين من الزمان . واذا كانت الحروف عربيّة فلا بدّ من ان يكون صندوقها كبيرًا طولهُ متران او اكثر وعرضهُ متر او اكثر وفيهِ مئات من الابيات الصغيرة لان شكل الحرف الواحد يتغيّر على صور شتى بحسب موقعهِ من الكلمة فالباء مثلاً لها صورة وهي مفردة وصورة في اول الكلمة واخرى في وسطها واخرى في آخرها ولها صور مختلفة قبل الميم والجيم والراء وقس على ذلك بقيّة الحروف كما يظهر باقل امعان في حروف هذه الصفحة

والحروف المستعملة في اللغات الاوربية قليلة العدد ولذلك تكون صناديقها صغيرة بالنسبة الى صناديق الحروف العربية و بيوتها قليلة ومع ذلك لا يخلو جمعها وتفريقها من المشقة العظيمة

الاّ ان رجال الاختراع قد اعملوا فكرتهم منذ عهد غير بعيد لايجاد طريقة تسهل جمع الحروف وتفريقها فاخترع بعضهم آلات تسبك الحروف سبكًا واخترع آخرون آلات تجمعها جمعًا ثم تفرقها كما جمعتها وقد شاعت آلات السبك الآن في اميركا واستعملها كثير من جرائدها الشهيرة كجريدة العالم والشمس والهرلد والتيمس والميل والذين استعملوها يقولون انهم قد اقتصدوا باستعمالها نصف اجرة جمع الحروف فضلاً عن ان العمل بها لا يقتضي من التمرين والمزاولة عشر ما يقتضيهِ جمع الحروف عادةً . وقد اطلعنا على وصف آلة من هذه الآلات في احدى الجرائد العلمية الاميركية فاقتطفنا منهُ ما يأتي .

قال الكاتب ان الناظر الى هذه الآلة يرى امامهُ مفاتيح كمفاتيح البيانو عليها الحروف الهجائية فاذا اراد ان يجمع كلمة كتاب مثلاً ضغط المفتاح الذي عليهِ حرف الكاف فيقع من بيوت الامات امُّ حرف الكاف اي قطعة من النحاس فيها ثقب لو صبّ الرصاص فيهِ لخرج مثل حرف الكاف الذي يستعمل في الطباعة . ثم يضغط مفتاح التاء والالف والباء على التوالي فتقع امات هذه الحروف وتجتمع معًا فيضغط مفاتيح غيرها من الحروف الى ان يتم السطر . و ينتأُ بين الكلمات اسافين دقيقة فاذا تمّ السطر ارتفعت هذه الاسافين مقدار ما يشتدُّ السطر بها وحينئذٍ ينصبُّ على السطر رصاص ذائب من الآلة نفسها فان في جوفها

نارًا ورصاصًا ذائبًا لهذه الغاية . ويُدْفع هذا السطر الى مكان تجتمع فيهِ السطور واحدا بعد الآخر الى ان تجتمع من ذلك صفحة كاملة او عمود كامل

اما الامّات التي صُبَّ عليها الرصاص فتعود واحدةً واحدةً الى بيوتها الخاصة بها حالما يتم صب الرصاص عليها ولذلك لا يكون في البيت الواحد الاّ عدد قليل منها

وآلات السبك المستعملة الآن نوعان نوع ثقل الآلة منهُ طن وطولها نحو ست اقدام في مثلها عرضًا وعلوها سبع اقدام وثمنها سثمئة جنيه والعامل الواحد يجمع بها في يومهِ قدر ما يجمع اربعة من مهرة جامعي الحروف والنوع الثاني ثقل الآلة منهُ اربع مئة وخمسون ليبرة وطولها اربع اقدام وعرضها اربع وعلوها اربع ونصف وثمنها خمس مئة جنيه . وهي تسرع بقدر ما يمكن للانسان ان يحرّك يديهِ . وقد امتحنت في العام الماضي في مطبعة جريدة العالم فاشتغلت مئة وتسع عشرة ساعة متوالية بدون انقطاع ولم يحدث فيها شيءٌ من الخلل

هذا من قبيل الآلة التي تسبك الحروف سطورًا اما الآلة التي تجمع الحروف وتفرّقها فيكون فيها بيوت للحروف في كل بيت منها مقدار كبير منها ولها مفاتيح مثل الآلة المتقدمة فيضغط العامل مفتاحًا منها فيندفع حرف من الحروف التي يدل ذلك المفتاح عليها الى المصف ثم يتلوهُ الحرف الثاني والثالث الى آخر السطر والصفحة ولا بدَّ من ان يكون هناك عامل آخر يصحح الحروف و ينقلها الى المطبعة ثم يفرقها في اماكنها بعد تتمة الطبع

وقد ذكرنا غير مرة ان احد السوريين نزلاء بلاد الانكليز استنبط آلة لجمع الحروف وتفريقها وقد اطلعنا على صورة هذه الآلة وعلى كتابات عنها في بعض الجرائد الانكليزيّة . وعلمنا ان المخترع عازم ان يجعلها صالحة لجمع الحروف العربية وتفريقها . والمرجح عندنا انهُ سيصادف في ذلك مصاعب جمة تحول دون المراد لكثرة الحروف العربية فلو اتفق المتكلمون بالعربيّة على ابدال حروفهم بحروف رومانية لزالت كل صعوبة من هذا القبيل ولا سيما اذا استعملوا الحروف العادية فقط من غير ان يستنبطوا حروفًا جديدة لما لا وجود لهُ في اللغات الاوربية كالعين والحاء والخاء

الآن هذه الآلات ثمينة يكفي المطبعة آلاتان او ثلاث منها فاذا وقع فيها خلل قليل — وذلك غير نادر لكثرة اجزائها — ووقفت عن العمل اضرَّ ذلك بالمطبعة ضررًا كبيرًا ولذلك فالارجح انها لا تشيع كثيرًا الاّ في المطابع الكبيرة التي يمكنها ان تستعمل عشر آلات او اكثر منها حتّى اذا وقفت واحدة او اثنتان بقي عمل المطبعة جاريًا مجراهُ . وستزيد الكتب الاوربية رخصًا بواسطة هذه الآلات اما كتبنا العربية فتبقى على حالها لان الذين

وضعوا حروف الطباعة جعلوها مماثلة للكتابة وأكثروا اشكالها الى حد يتعذر معهُ استنباط الآلات لتسهيل جمعها وتفريقها

الاغتراب والمهاجرة

لا يمنعنَّكَ خفض العيش في دعةٍ من ان تبدِّل اوطانًا باوطانِ
تلقى بكل بلاد ان حللتَ بها اهلاً باهلٍ واخوانًا باخوانِ

قال المقدسي "السفر احد اسباب المعاش التي بها قوامهُ ونظامهُ لان الله تعالى لم يجمع عجائب الدنيا في ارض بل فرّقها واحوج بعضها الى بعض ومن فضلهِ ان صاحبها يرى من منافع الامصار و بدائع الاقطار ومحاسن الآثار ما يزيدهُ علمًا و يفيدهُ فهمًا بقدرة الله وحكمتهِ و يدعوهُ الى شكر نعمتهِ . وهو يسمع العجائب و يكسب التجارب ويفتح المذاهب و يطرد الاسقام ويشهي الطعام و يحطُّ سورة الكِبْر و يبعث على طلب الذِكْر"

وقال بعضهم

اني رأيتُ وقوف الماء يفسدهُ فان جرى طاب او لم يجرِ لم يطِبِ
والاسد لولا فراق الغاب ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصبِ
والتبر كالترب ملقًى في اماكنهِ والعودُ في ارضهِ نوعٌ من الحطبِ

وانا طالعتَ كتب الادب رأيتَ فيها اقوالاً كثيرة من هذا القبيل تحبب اليك الاغتراب والمهاجرة مبنيةً على المسلّمات والاقيسة الخطابيّة ورأيت ايضًا اقوالاً اخرى مناقضةً لها تذمُّ الغربة والارتحال . على ان الناقد البصير يرى المهاجرة سنّة طبيعية وناموسًا جاريًا على كل حيوان ونبات وهو لازم لنوع الانسان لزوم الماء والهواء و يمكن التصرُّف بهذا الناموس على صور شتى ولكن لا يمكن اعدامهُ من الكون

وحبُّ الوطن غريزي في الانسان فيحنُّ اليهِ ويحسب ماءهُ اطيب المياه وهواءهُ انقى الاهوية وترابهُ اجود الاتربة و يفضل بلادهُ التي ولد فيها وربي على كل بلاد وهذا الحب طبيعي في الانسان كقوة الجذب الى نحو المركز في الجماد فاذا انقاد الانسان اليهِ فقط ازدحمت القرى والمدن وتراكم اعضاء العيال بعضهم فوق بعض ولم يتفرَّقوا على وجه البسيطة فازدحمت بهم الموارد وضاقت ابواب الرزق و بقي الجانب الاكبر من الارض بورًا غير معمور ولا مأهول وانتشرت الامراض بين الناس وانقرضوا عن وجه البسيطة في وقت قصير . وقد

ظنّ البعض ان السبب الاكبر لعدم ارتقاء بعض الشعوب في الحضارة والعمران هو اكتفاؤهم ببقعتهم وعدم ترحّلهم عنها وعدم اختلاطهم بغيرهم من الشعوب فكأن ماء اجتماعهم اسن بركوده ودم حياتهم جمد بعدم دورانه فلو تغرّبوا وسمحوا للغرباء ان يستوطنوا بينهم لاستفادوا من الغربة تفرّج همّ واكتساب معيشة وعلماً وآداباً وصحبة ماجد واستفادوا ممن ينزلون بينهم قدر ما يفيدونهم وبقي جسم الاجتماع حيّاً متحركاً ولم يأسن كالماء الراكد وتعدّلت قوة الجذب الى نحو المركز بقوة الدفع عنهُ

والامم التي رسخ فيها حبّ التغرّب كالامّة الانكليزيّة لا تُناط التمائم عن فتيانها حتّى تتوق نفوسهم الى الغربة والسعي في طلب الرزق والامم التي لم تعتَد الغربة يتوق رجالها الى مشاهدة البلدان الغريبة ايضاً. والغريب لا يكون لهُ من الوسائط قدر ما لابناء البلاد التي نزل فيها ومع ذلك تراهُ يفوقهم سعياً وكسباً وهذا مضطّردٌ حتّى ان الشرقيّ الذي لا يستطيع ان يجاري الغربي في بلاد المشرق يفوقهُ في بلاد المغرب . وعلى هذا النمط ترى الاوربيين والسوريين والارمن والفرس النازلين في القطر المصري انجح ممّن كان من درجتهم من المصريين . ولو تغرّب المصريون في اوربا او سوريّة او ارمينية او بلاد فارس لفاقوا مَن كان من درجتهم فيها وذلك كلهُ دليل على ان حب التغرّب فطري في الانسان وانهُ اذا تابعهُ جارى الطبيعة وتنبهت فيهِ قوًى جديدة تزيدهُ سعياً وتقرن سعيهُ بالنجاح

وقد كان الناس قبائل رحّل قبل ان تحضّروا واستوطنوا الامصار ولكن ارتحالهم حينئذٍ لم يكن لينيلهم كل الفوائد التي ينالها الناس من الارتحال الآن لانهم كانوا يهاجرون من بلاد الى أُخرى فيقتلون اهاليها او يطردونهم منها ويقومون مقامهم فلا يتغير عليهم شيء الّا البقعة واما نسبتهم بعضهم الى بعض فتبقى على حالها ومع ذلك عمرت المسكونة بهذه المهاجرة. اما ابناء هذا العصر فرأوا نوعاً آخر من الارتحال والمهاجرة بواسطة تسهيل السفر واستتباب الأمن على الغريب ومعاملتهِ كالوطني والى ذلك يُنسَب التقدّم العجيب الذي رأيناهُ في هذا العصر فيهِ عمرت اميركا واستراليا وزيلندا وجزائر البحر وجهات كثيرة من افريقية وانتشر لواء العمران في كل صقع ونادٍ ولا بدّ من ان كثيرين اضرّ بهم اغترابهم او نزول الغرباء في بلادهم لانهم قصروا في ميدان المناظرة والمجاهدة ولكنّ عددهم قليل بالنسبة الى الذين استفادوا وسنّة الكون قاضية بتشبّه الضعيف بالقوي او بزوالهِ من امامهِ

والمهاجر من بلادهِ الى بلاد اخرى رجلٌ من ثلاثة إمّا رحّالة حليف اسفار لا يقرّ قرارهُ في بلادهِ فيغادرها الى غيرها حالما تمكّنهُ الفرص من ذلك واما طلّابٌ للمعالي يطلب

قاصي الاقطار ليتجر فيها ببضائعهِ وقواهُ العقلية وملكاتهِ الصناعية . واما مسكين ضعيف العزيمة يهرب من بلادهِ خوفًا من جور حكامها او من ضيق موارد الرزق فيها . أما الرجل الاول فقد يضرُّ بعض الضرر باهالي البلاد التي ينزلها ولكن هذا الضرر لا يلبث ان ينقلب نفعًا لان الوطنيين يكونون قد اعتادوا طرق المعيشة التي في بلادهم والفوا ما فيها من وسائط النجاح فلم يعودوا يعبأون بها ولا ينتبهون اليها فيأتي الغريب بقوى جديدة وآمال جديدة ويزاحمهم على مواردهم حتى لقد يخشون ان يأكل الخبز من افواههم ولا يمضي وقت طويل حتى يفلح في اعمالهِ ويجمع الثروة الطائلة فيقومون عليهِ ويحسبون انهُ سلبهم اشياءهم واخذ الخيرات من امامهم وهو في الحقيقة اغنى بخيرات الارض المهملة وورد الموارد التي تقززت منها النفوس لطول عهدها بها وارشد مئات من الوطنيين الى اكتشاف موارد جديدة للثروة كانوا غافلين عنها او علّمهم الانتفاع بما كانوا يعدونهُ نفايةً . فرجل مثل هذا يجب التأهيل بهِ واحلالهُ على الرحب والسعة لانهُ شرارة خير تضرم نار الهمة والحمية في الوطنيين وتوقظهم من سبات الخمول

واما الرجل الثاني الذي يهاجر للاتجار ببضائعهِ وقواهُ فقد يُظن لاول وهلة انهُ يضرُّ الوطنيين لانهُ يرخص البضائع الوطنية ويزاحم الوطنيين على ما بهِ قوام معيشتهم وهو في الحقيقة ينفعهم نفعًا عظيمًا لانهُ يضيف عقلهُ الى عقولهم وقواهُ الى قواهم ويسعى معهم في تسهيل اسباب المعيشة واستخدام خيرات الارض فان غنى الامة الحقيقي قائم بما فيها من العقول الذكيّة والهمم العلية فكل عقل يضاف الى عقول اهاليها وكل همّة تُضمُّ الى هممهم تزيدهم غنى وارتقاء . فمن الحماقة مقاومة هذين الرجلين وصدهم عن دخول البلاد واستيطانها

اما الرجل الثالث فالغالب انهُ كثير الضرر قليل النفع . ويجب ان تجتهد كل مملكة من ممالك الارض لكي لا تبعث بسفالتها الى غيرها من الممالك ولا تلقي حملها على غيرها . ويجب ان نسعى في منع الجور والاعتداء وكل ما يدعو الضعاف الى المهاجرة من بلادهم الا انا منيت البلاد بمصائب طبيعية لا دافع لها كأن تعاقبت عليها سنو المحل فلم يجد الفقراء لهم مناصًا الا بالمهاجرة . ولا تبرّر مملكة تجبر فقراءها وضعفاءها على هجر اوطانهم والنزول في اوطان غيرهم . هذا من قبيل البلاد التي تكون المهاجرة منها اما البلاد التي تكون المهاجرة اليها فلا يليق باهاليها ان يصدوا قادمًا اليهم ولا ان يحتقروهُ ولا يحسن بهم ان يقدروا نفعهُ بما معهُ من المال لان مقياس الانسان عقلهُ وادبهُ لا فضتهُ وذهبهُ فكم من مسكين دخل بلادًا وهو لا يملك شروى نقير ثم صار من اعمدة عزها ودعائم ثروتها . فعلى البلاد ان تقبل كل

من يحنمي بحماها وتجتهد لكي تستخدم كل قواه البدنية والعقلية لنفعها

وقد تعلّم الانسان من اطّلاعهِ على نواميس الكون ان يستخدمها لاغراضهِ و يتصرّف بها على صور شتى ولكنهُ لم يرَ لإبطالها سبيلاً فيستطيع مثلاً ان يقي نفسهُ من الكهربائية او ان يستخدمها لارسال الاخبار او لدفع المركبات او لادارة الآلات او لترسيب المعادن ولكن ما دامت الكهربائية موجودة فالنواميس الخاضعة لها تبقى عاملة ولا يمكن ابطالها وهذا شأن النواميس الاجتماعيّة التي يخضع لها نوع الانسان فانها تبقى عاملة ما دام نوع الانسان في الوجود

والباحث في نظام هذا الكون يرى ان عوالمهُ الكثيرة خاضعة لقوتين متباينتين الواحدة تجذب اجزاءهُ نحو المركز المشترك بينها والثانية تبعد هذه الاجزاء عن ذلك المركز وهاتان القوتان متوازنتان ولولا ذلك لتمزقت العوالم شذر مذر او لصدم بعضها بعضاً وتحطّمت

وجسم الانسان مؤلف من اجزاء دقيقة جدًّا لا تُرى الاَّ بالميكرسكوب لصغرها ولكل جزء منها حياة مستقلّة ووجود مستقلّ ولكنّ حياتهُ متوقفة ايضًا على حياة الجسم كلهِ فيحيا بحياتهِ ويموت بموتهِ و يسعد بسعادتهِ و يشقى بشقائهِ ونسبة الانسان كلهِ الى مجموع النوع نسبة هذا الجزء الى جسمهِ ولكن الجسم لا يموت لموت جزء منهُ او بضعة اجزاء ولا يشقى لشقائها . لانها تحيا وتموت وتبدل بغيرها يوميًا وهو حيٌّ يرزق وكأنهُ لا يشعر بموتها ولا بحياتها ذلك ما دامت متّبعة في حياتها ونموها وموتها سنّة الطبيعة و بقيت نسبة الميت منها الى الحي جارية على سنّة الطبيعة وإما اذا افرطت في نموها او موتها شعر الجسم بذلك وساءت حالة ووقع الخلل فيهِ . ومهما يكن من الامر فحياة الانسان كلهِ تنفضّل على حياة جزء او بضعة اجزاء منهُ وحياة نوع الانسان تنفضّل على حياة فرد او بضعة افراد من افرادهِ . ولا بدّ من النظر الى مصلحة البشر كلهم في المسائل الاجتماعية لان نسبة الفرد الى نوع الانسان حينئذٍ نسبة الجزء الصغير الى جسم الانسان كلهِ

ومعلوم ان الجسم الحي يستلزم ان يكون لاعضائهِ مراكز تقوم بها و يستلزم ايضًا ان تتحرك اجزاؤهُ من جهة الى اخرى حركة معتدلة لا سريعة تشوّش البدن ولا بطيئة تميتهُ خمولاً . والجزء الصغير يتحرك هذه الحركة مدفوعا بقوة طبيعية لمصلحتهِ الخاصة ولكنهُ يقضي مصلحة البدن كلهِ وهو يقضي مصلحتهُ . وكذا الانسان الذي يرتحل من بلادهِ الى بلاد اخرى يذهب مدفوعًا بعوامل المعيشة لقضاء مصلحتهِ ولكنهُ يقضي مصلحة النوع كلهِ وهو يقضي مصلحتهُ

ولقد احسنت الحكومة المصريّة بفتحها ابواب السفر لرعاياها وتسهيلهِ عليهم حتّى لا يعاوقهم معاق عن الارتحال شرقًا وغربًا وعسى ان لا تفتر همة المشارقة عن الارتحال الى

بلاد المغرب والاقتداء بأهلها في العلم والعمل

وخلاصة ما تقدم اولاً ان المهاجرة ناموس طبيعي يخضع لهُ الانسان كما تخضع لهُ جميع الاجسام ولا يمكن ابطالهُ

وثانيًا انها مفيدة لنوع الانسان لا مضرَّة لهُ ولو اضرَّت ببعض افرادهِ

وثالثًا ان مقاومة هذا الناموس ضرب من الحماقة والاولى استعمالهُ والانتفاع بهِ لكي نحصل منهُ المنافع ونتّقي المضار

حرب ترادة وطريق الفينيقيين

من خطبة لحضرة العالم المستر فلوبر تلاها في الجمعية الجغرافية المصرية

قال الخطيب ما ملخصهُ · لقد عثرنا في السياحة العلمية في صحراء اتباي التي شرقي النيل على امور توضح بعض الغوامض التي اختلف العلماء كثيرًا في معناها وهي مما يتعلق بحرب ترادة من اشعار هوميروس · فان خلاصة القصة التي اوردها هوميروس عن حرب ترادة ان باريس ابن بريم ملك ترادة نزل في بيت منلاوس ملك لاسيديمون فخدع زوجتهُ هيلانة وسار بها الى ترادة فتبعهُ منلاوس وحارب ترادة واستصرخ عليها ملوك اليونان واستخلص زوجتهُ وسافر بها بحرًا ثماني سنوات زار في خلالها مصر وجمع منها مالاً طائلاً وجواهر كثيرة · الاَّ ان المؤرخ هيرودوتس لم يصدق هذه الرواية لانهُ كان يصعب عليهِ التسليم بأن الترادبين يقبلون ان تحاصر مدينهم عشر سنوات من اجل امرأة مثل هيلانة فحسب ان اشعار هوميروس مزيجًا من الحقائق والاوهام · ولما جاء مصر سنة ٤٤٠ قبل المسيح ورأى كهنتها مخزنًا للتواريخ والاخبار سألهم عن حقيقة حروب ترادة وكان قد مضى عليها ستمئة سنة فقصوا عليهِ رواية أُخرى مخالفة للرواية التي اوردها هوميروس وأيدوا روايتهم بادلّة كثيرة وقالوا ان هيلانة لم تصل الى ترادة قط بل ان العواصف قذفت باريس وسفنهُ الى شطوط مصر وان بروتيوس ملك مصر احلَّ باريس على الرحب والسعة ولذلك كان الترادبون يقولون لمنلاوس ان هيلانة ليست عندهم بل في مصر ولكنهُ لم يصدقهم الى ان فتحت ترادة ونهبت فاذا هيلانة ليست فيها فأتى حينئذٍ الى مصر واخذ زوجتهُ من بروتيوس ثم ساح ثماني سنوات

وسواءٌ اتى منلاوس بزوجتهِ هيلانة الى مصر بعد خراب ترادة او اتى الى مصر

وجدها فيها فالعبرة في ما قصهُ عن سفره وهو قولهُ "انيت الى قبرس وفينيقية والى المصريين والاثيوبيين والصيدونيين والارمبي" فان الترتيب الذي ذُكرتْ فيهِ هذه الاماكن اعثر سترابو في دفاعهِ عن تدقيق هوميروس الجغرافي فعاد الى هذا الموضوع مرةً بعد اخرى ولم يهتدِ الى وجه الصواب . والمشكل هو في الذهاب من فينيقية الى اثيوبيا (الحبشة) ثم زيارة الصيدونيين . فالشاعر بوب الانكليزي ترجم قول هوميروس بما ترجمتهُ "من قبرس الى شاطىء فينيقية البعيد التي صيدا عاصمتها وسّعتُ نطاق اسفاري في اقطار مهدها طوفان النيل ثم طفت اقاصي بلاد اثيوبيا وحدود بلاد العرب المحرقة"

ولم يكن بوب عالمًا باللغة اليونانية ولكنهُ كان يرى ان كل ما ذكرهُ هوميروس في وصف الشعوب والاماكن صحيح لا شبهة فيهِ ومع ذلك رأى ما في هذه الابيات من التناقض الظاهر وتصرّف في الترجمة لانهُ يتعذَّر على الانسان ان يزور الفينيقيين ويمضي الى الاثيوبيين ثم يزور الصيدونيين . وهناك مشكلٌ آخر في ذكر الارمبي وقد اشكل المراد بهم على شرّاح هوميروس من المتقدمين . واما المتأخرون فلم يعبأُوا بذلك ظنًّا منهم ان الشاعر يستحلُّ الاختلاق فيختلق شعبًا ليس لهُ وجود ولكنهُ لا يُعذر اذا وضع شعبًا في غير محلهِ

وقد اجمعوا على ان الصيدونيين هم سكان مدينة صيدا في فينيقية وارتأَوا ان جمهورًا من الاثيوبيين هاجر الى فينيقية . ولكن هذا التعليل ناقص لانهُ لا يعلل وجود المصريين بين الفينيقيين والصيدونيين . والظاهر ان علماء هذا العصر اقل حرصًا على فهم هوميروس من سترابو الجغرافي فانهُ رأى هذا المشكل ونظر فيهِ مرارًا ولم يتخذ عدم فهمهِ لهُ دليلاً على فسادهِ . وهاك ما اوردهُ في هذا الشان ومنهُ يُعلم تقدم علم الجغرافية في زمانهِ اي في السنة الرابعة والعشرين قبل المسيح قال

"بما ان ذكر هوميروس للبلدان التي طافها منلاوس يُستدلُّ منهُ على ان هوميروس لم يكن عارفًا بها تمام المعرفة حسُن بنا ان نبين ما في كلامهِ من الاشكال وما يمكن ان يقال في الدفاع عنهُ . فقد جاء فيهِ ان تلماكوس تعجَّب ممَّا في قصر منلاوس من التحف فقال لهُ منلاوس انني تجشمت كثيرًا من المشاق وتهت في سفني زمانًا طويلاً الى ان رجعت في السنة الثامنة من سفري بعد ان زرت قبرص وفينيقية والمصريين وذهبت الى الاثيوبيين والصيدونيين والارمبيين والليبيين . وقد يقال من هم الاثيوبيون الذين لاقاهم في سفرهِ من مصر فانهُ ليس منهم احد ساكنًا على شواطىء البحر المتوسط و يستحيل انهُ يكون قد بلغ جنادل النيل . ثم من هم الصيدونيون فانهم ليسوا سكان فينيقية لانهُ لا يخصص ذكر النوع بعد ان

ذكر الجنس كلهُ . والارمبي اسم جديد . وقد ذكر ارستونيكوس النحوي في ما كتبهُ عن اسفار منلاوس آراء كثيرين في هذه المباحث ونحن نكتفي بالاشارة اليها بالايجاز فان الذين ارتأوا ان منلاوس مضى الى اثيوبيا بحرًا قالوا انهُ عبر قادس (حول راس الرجاء الصالح) الى الاوقيانوس الهندي . وقال غيرهم انهُ قطع برزخ السويس وقال آخرون انهُ عبر ترعة من الترع " ثم فنَّد سترابو القول بالطواف حول افريقية . اما من جهة عبور الترعة فتابع ارسطوطاليس وقال ان سيسوستريس عدل عن فتح هذه الترعة مخافة طغيان مياه البحر. واما من جهة عبور برزخ السويس فقال ان العبور فيهِ لم يكن ممكنًا للسفن . فقد زعم اراتستنيس ان بوغاز جبل طارق لم يكن قد فتح حينئذٍ ولم يكن البحر المتوسط متصلاً بالاوقيانوس الاتلنتيكي ولذلك كان البحر المتوسط اعلى من برزخ السويس وغامرًا لهُ فلما فتح بوغاز جبل طارق وجرت مياه البحر المتوسط الى الاوقيانوس الاتلنتيكي انخفضت عن برزخ السويس فجف ولكن اراتستنيس قد اخطأَ في هذا لان هوميروس قال ان عولوس عبر بوغاز جبل طارق فيستحيل والحالة هذه عبور منلاوس برزخ السويس على الارض اليابسة . وقد قيل ان منلاوس كان في اثيوبيا لانهُ بلغ حدود تلك البلاد المتاخمة لمصر ولعلَّ حدود تلك البلاد كانت اقرب الى طيبة منها الآن . ففي يومنا هذا (٢٤ قبل المسيح) اقرب حدود مصر لاثيوبيا اسوان وفيلة اما اسوان فانها كلها من مصر واما فيلة فاهلها خليط من الاثيوبيين والمصريين . فهب انهُ بلغ طيبة فاكرمهُ الملك ونفحهُ بالهدايا والتحف فلا عجب اذا وُصف بانهُ عبر تلك البلاد"

ثم عاد سترابو الى مسأَلة الصيدونيين فقال ان صيدا هي عاصمة فينيقية وقد خصصها منلاوس بالذكر لانهُ اقام فيها زمانًا طويلاً . وكأَنَّ سترابو نسي ما استعبدهُ اولاً وهو التخصيص بعد التعميم . وقد ابتدأَ بقولهِ ان الصيدونيين ليسوا فينيقيين ثم اخذ منلاوس الى طيبة وقال ان الصيدونيين رجال من فينيقية

والتفت بعد ذلك الى معنى الارمبي وذكر اراء كثيرين من الكتَّاب فقال ان البعض حسبوها كلمة يونانية للعرب وحسبها غيرهم مشتقة من فعل يوناني معناهُ غار في الارض وقد حُرِّفت اخيرًا فصار منها كلمة ترغلوديت اي سكان الكهوف الذين كانوا يسكنون بقرب عَمَل طيبة . وظن كثيرون ان الارمبي قبيلة من الاثيوبيين ولكن سترابو قال انهم مخطئون مثل الذين جعلوا الصيدونيين والفينيقيين في خليج العجم فان نصفهم يريد ان يقنعنا بان الصيدونيين مستعمرة من قوم كانوا نازلين على شاطىء الاوقيانوس الهندي وقد دُعوا فينيقيين

من لون البحر الاحمر . والنصف الآخر يريد ان يقنعنا بما هو مناقض لذلك . ومن رأي البعض ان اثيوبيا في فينيقية وان ما حدث لاندرو ميداس حدث في يافا وقد عوّل الجغرافيون المحدثون على هذا الراي

هذه خلاصة ما قالهُ سترابو بالتطويل من جهة اسفار منلاوس مع انهُ كان يعتقد انهُ لم يكن يسمح لاحد ان يدخل مصر قبل ايام سماتيكوس الذي كان قبل المسيح بسبع مئة سنة اي قبل هوميروس بمئتين وخمسين سنة

ومرادي الآن ان أبيّن ان منلاوس اقام مدة من هذه السنين الثماني بقرب مدينة قوص عند وادي زيدون ان لم يكن قد وصل الى طيبة او في مدينة لقيطة شرقي قوص على اميال قليلة منها وكان يسافر مع البلميين وهم شعب حامي يعتني بالتجارة وتربية المواشي ونسبتهُ الى سكان الكهوف (والأولى ان يسموا بمستخرجي الذهب) نسبة العرب سكان درفور الآن الى الاقوام السود الذين يعملون بالمعادن ويسكنون جبال تلك البلاد وان البلميين هم الارنبي الذين ذكرهم هوميروس واليكم بيان ذلك

خُطط وادي زيدون اول مرة سنة ١٨٨٥ . وسنة ١٨٨٧ ركبنا من لقيطة الى الاقصر وفي شهر (ايار) الماضي ركبنا من لقيطة ايضًا وعجبنا من غزارة الماء فيها ومن خضرة النباتات التي في وادي زيدون وبلغنا جبل سباعي الذي يبتدئ ذلك الوادي منهُ وهو على ثمانين ميلاً شرقًا وهناك اودية اخرى بين النيل والتلال الشرقيّة ولكنها لا تذكر بالنسبة الى وادي زيدون فان الانجم تبقي فيهِ خضراء على مدار السنة دلالةً على ان الماء جارٍ فيهِ تحت وجه الارض . وقد توصلنا من البحث في الآثار الباقية هناك من عصر البطالسة ومن العصور السابقة لعصرهم الى النظر في اسماء الاماكن التي هناك . فالجبل الكبير الذي يحوي معادن الزمرد كان يدعى في القرن الثامن باسم قلقشنده وهي كلمة حامية ثم سُمي حماتا وهي كلمة سامية ومعناها التين البري اشارة الى ان شكلهُ كالتينة . ولكن كثيرًا من الاسماء فينيقي الاصل من ذلك شدبرة اسم الوادي الممتد من معادن الزمرد الى البحر ومعناهُ صبرة وزيدون وهي صيدون وكاننا هنا على طريق الفينيقيين في مهاجرتهم من خليج العجم الى شاطئ البحر المتوسط قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة

واذا كان الامر كذلك فُطور (او صور) على البحر الاحمر محلّة فينيقية وقد كرّر الفينيقيون هذين الاسمين لما بلغوا ساحل الشام فسموا المدينتين اللتين مصّروهما فيهِ صور وصيداء

وقد اتفق المؤرخون على ان مدينة طيبة انحطت وقتما انحطت مدينة تروادة تقريبًا وانهُ في ذلك الوقت كانت التجارة في البضائع الهندية والافريقية لم تزل واسعة النطاق في بلاد مصر بين النيل والبحر الاحمر و بعد ذلك بقليل ارسلت سفن سليمان ملك اسرائيل وحيرام ملك الفينيقيين الى راس العقبة واتجرت في البحر الاحمر مناظرة بذلك تجارة المصر بين برًا (اي صارت بضائع الهند تأتي بلاد الشام بطريق البحر الاحمر بدلاً من مجيئها الى القصير وعبورها الى قوص في البرثم نقلها بالنيل)

ولا يبعد انهُ كان هناك محطة للتجار اما في لقيطة او في مكان آخر في وادي زيدون وان منلاوس لم يقم في طيبة لانها كانت آخذة في الانحطاط بل اقام في وادي زيدون واتجر مع المشرق وكان على مقربة من قوافل اتجار الذين هم من قبائل الارمبي . وقد اجمع الباحثون على ان القبائل التي تعتمد على تربية النعم وشن الغارات وتسكن البلاد التي شرقي طيبة كانت تسمى قبائل البلمي وقد قيل ان الترغلوديت (سكان الكهوف) كانوا يسكنون تلك البلاد ايضًا فارتبك البعض في ذلك ولكن ما طوتهُ السنون الطوال يمكن ايضاحهُ الآن بسهولة فان في جبال درفور الآن اناسًا سودًا يستخرجون المعادن و يصنعون الرماح . وفي الاودية اناس ساميون يعيشون بتربية المواشي والصيد والتجارة . ووجود هذين الشعبين مما تقتضيهِ طبيعة البلاد لانهُ اذا تعذَّر على الناس زرع الارض فالذي يستخرج المعادن لا يقدر ان يعيش بدون التاجر . فكلمة اثيوبيا مشتقة من كلمة انباي على الاصح . وقد كان في انباي شعبان شعب اسود يعمل في معادن الذهب وغيرهِ وشعب يجلب لهُ الطعام وهو شعب البلمي . وابعد المناجم الى الشمال واقع جنوبي الحمامات فلما فرغت من الركاز او اتسع نطاق التجارة ذهب الرجال العاملون بالمعادن (وهم الذين سماهم هيرودوتس بسكان الكهوف خطأً) الى نحو الجنوب و بقيت قبائل البلمي تنقل بضائع الهند من البحر الاحمر الى النيل . وكان الكتّاب في القرن الرابع للمسيح يكتبون كلمة بلمي بلمبي . والتغيير من بلمبي الى برمبي غير بعيد الوقوع وذلك بابدال اللام راء . ولا غرابة في ابدال كلمة برمبي بكلمة ارمبي لان ذلك يحدث كثيرًا في الخط . وهناك دليل آخر على ان الارمبي هي نفس البلمي وايضاحًا لهُ نقول ان البلمي والبجا يسكنان بلادًا واحدة ولهم عوائد واحدة . وقد فصَّل ذلك الشهير كترمير وقال ان البلمي هم نفس قبائل البجا (١)

وقال الاستاذ كين ان البجا هم البشاري ولكن المرجح ان البشاري قبيلة حامية او مجموع

(١) المقتطف سيأتي تفصيل ذلك في الجزء التالي

قبائل تسكن البلاد من قوص الى سواكن وكان سكان وادي النيل يطلقون عليهم اسم البجا. ومن المرجح ان بجا كلمة نوبيّة او كنسية معناها الاجانب وقد اطلقها سكان وادي النيل على العرب الاجانب او البربر وكلمة بلموي و بلمي وارمبي هي الاسماء التي سام الاغراب بها

وذكر المقريزي البجا او البجة وقال" ان سلاحهم الحراب السباعيّة طول الحديدة ثلاث اذرع والعود اربع اذرع و بذلك سميت سباعية "

وهذا التعليل لا يستحق الالتفات لان سلاح القبائل المتبدية يتبعها في قدمها فهب ان البجا تعلموا شيئًا من الكلام العربي في ايام المقريزي ولو رطانةً وهو غاية ما يعرفونهُ من العربية الى يومنا هذا فلا يحتمل انهم يسمون السلاح الذي يعتمدون عليهِ باسم عربي جديد وهو الذي حفظهم في الوجود مآت من السنين لان العرب وجدوا البجا حيث ترك البطالسة البلمي ولكن يحتمل ان رماحهم كانت تسمّى سباعية من اصلها

وقد قلنا ان وادي زيدون يمتد من جبل سباعي ومن الغريب اننا لما اقتربنا من ذلك الجبل انحرفت الابرة المغنطيسية انحرافًا شديدًا حتّى كان انحرافها احيانًا اربعين درجة دلالة على وجود الحديد هناك بمقادير كبيرة ولم نجد هناك مناجم مفتوحة ودرنا الى الشرق في طلب جبل الرصاص الذي كان مذكورًا في الخرائط ولا وجود لهُ الآن ولكننا تاكدنا وجود الحديد المغنطيسي. وقد قال كتّاب العرب ان في ذلك الجبل الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والمرقشيتا والجمشت والزمرد وحجارة شطباء فاذا بلت الشطبة منها بزيت وقدت مثل الفتيلة (وهي الاسبستس)

وقد وجدت هذه المعادن كلها ما عدا الحديد ولكننا استدللنا على وجودهِ في جبل سباعي بالابرة المغنطيسية

وذكر المقريزي ان صناع حراب البجة " نساء في موضع لا يختلط بهنّ رجلٌ الّا المشتري منهنّ فاذا ولدت احداهنّ من الطارقين لهنّ جاريةً استحيينها وان ولدت غلامًا قتلنهُ ويقلنَ ان الرجال بلاء وحرب"

يظهر مما تقدم انهُ يراد بزيارة منلاوس للاثيوبيين والصيدونيين والارمبي انهُ صعد في النيل واقام في مدينة صيدون بقرب طيبة التي كانت آخذة في الانحطاط وجمع هناك كثيرًا من الذهب والعاج والحجارة الكريمة بالاتجار مع الهند واواسط افريقية وكان التجّار من قبيلة البلمي وذلك كلهُ مرجّح ترجيحًا . ومن المرجح ايضًا ان الفينيقيين رحلوا من وطنهم الاصلي عند خليج العجم ودخلوا القطر المصري عن طريق القصير واقاموا بقرب طيبة. وقد وجدت

مدينة طيبة من اجتماع ميل الفينيقيين لركوب الاخطار في طلب الاموال وميل المصريين القدماء للاتجار

فاذا اراد احد ان يسيح هذا الشتاء سياحةً جامعةً بين البهجة والفائدة فليمضِ الى البلاد التي تقدَّم وصفها والسفر فيها سهل قليل النفقة فيذهب السائح الى قوص بحرًا ثم يركب الجمال من لقيطة ويسير في وادي زيدون الى بداءتهِ في جبل سباعي ويرى في طريقهِ خرائب المدن التي كان يسكنها الصيدونيون الذين نزل منلاوس عندهم ويرى المعادن عند جبل سباعي حيث كان النساء الحدادات. وهذا السفر من افكه الاسفار وافيدها ويمكن ان تكتشف بهِ امور كثيرة جزيلة الفائدة فمن اراد السفر وذاكرني في امرهِ بواسطة الجمعيَّة الجغرافية لم اتأخَّر عن تقديم جميع الارشادات اللازمة لهُ

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نظر سديد وبحث مفيد

لقد نشرتم في الجزء الاوَّل من مقتطف هذه السنة أسئلتي التي تشرَّفت بعرضها على مسامع حضرات القراء الكرام راجيًا منهم التفضُّل بحلّها. وقد وجدت في الجزء الثالث منهُ رسالة لحضرة الفاضل شاكر افندي شقير من علماء بيروت عنوانها (حلّ اسئلة احمد رافع) فلما قلَّبتُ الطرف فيها وجدت حضرتهُ قد ألمَّ في حل تلك الاسئلة ببعض مطالبها ولم يهتدِ الى المقصود من غالبها فادَّاهُ ذلك الى انتقادها وفوَّق نحوي سهام اللوم على ايرادها فدعاني ذلك الى حلّها ملتزمًا ذكر كل سؤَال منها قبل الجواب عنهُ لطول العهد بها وللاستغناء عن المراجعة وقت المطالعة مُرْدفًا ذلك ببعض ما عنَّ لي من ملاحظات تتعلَّق بما ذكرهُ حضرتهُ في تلك الرسالة فكتبتُ هذه العجالة

السؤَال الاوَّل هو (هل نعرف كلمة ما في كلام العرب رافعةً للاسم وناصبةً للخبر وليست بالنافية التي يعملها اهل الحجاز) اقول هي ما الزائدة التي يؤْتى بها بعد ان المصدريَّة

عوضًا عن كان المحذوفة وحدها في نحو قول العرب (أمَّا انتَ منطلقًا انطلقتُ) فان اصلهُ انطلقتُ لان كنتَ منطلقًا فَقَدِّمت العلة على المعلّل للاهتمام وافادة الاختصاص ثم حذفت لام التعليل لاطراد حذف حرف الجر مع ان ثمَّ حذفت كان للاختصار فانفصل ضمير المخاطب الذي كان متّصلاً بها لتعذُّر اتصالهِ حينئذٍ فصار أن أنت منطلقًا ثم جيء بما عوضًا عن كان المحذوفة لتزول مباشرة ان المصدريّة للاسم في اللفظ وأُدغمت نون ان بعد قلبها ميمًا في ميم ما فصار أما أنتَ منطلقًا فأنت اسم كان المحذوفة ومنطلقًا خبرها هذا مذهب جمهور النحاة . وذهب ابو عليّ الفارسي وجماعة منهم تلميذهُ ابو الفتح بن جنّي الى ان العمل لما لا لكان لنيابتها عنها فيكون الاسم والخبر لها قال بن جنّي في كتابهِ الخصائص (فان قلت) بمَ ارتفع انت وانتصب منطلقًا (قيل) بما لانها عاقبت الفعل الرافع الناصب فعملت عملهُ من الرفع والنصب وهذه طريقة ابي عليّ وَجِلّة اصحابنا اه فهذا السؤَال مبني على مذهب هولاء لانهُ يصدق على ما هذه عندهم انها رفعت الاسم ونصبت الخبر وليست بالنافية التي يعملها اهل الحجاز كما هو بيّن واظن انهُ لا ينكر عليّ بناءَهُ على مذهبهم فقد سبقني اليهِ الامام ابن خلف في شرح ابيات كتاب سيبويه حيث قال وعلى هذا يلغز فيقال هل نعرف ما في كلام العرب الخ . وبهذا يعلم ان هذا السؤَال جارٍ على وجههِ الظاهر ومنهجهِ القويم لا تورية فيهِ ولا توهيم الَّا ان حضرتهُ لما لم يهتدِ اليهِ ابتكر لهُ وجهًا لطيفًا حملهُ عليهِ ولكن التورية لا مساغ لها فيهِ واما التوهيم فلهُ وجه وجيه

السؤَال الثاني هو (هل ورد جمع فَعَلة بفتحتين على فُعَل بضمّ الفاء وفتح العين واذا كان قد ورد ففي كم من الاسماء المعتلة)

أقول قد ورد في اثنين منها . أحدها طَلَاةٌ (بفتح الطاء المهملة على ما في الكواكب الدرية وشرحها المسمّى المواكب العليّة وغيرها كالوسائل الادبيّة ووجد مضبوطًا بذلك في نسخ الصحاح القديمة فليس بغلط كما قيل وان كان مضبوطًا بضمها في نسخ القاموس المطبوعة) وهو اسم للعنق واصله طَلَيَة قلبت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها وجمعه طُلًى بضمّ الطاء وفتح اللام مقصورًا واصلهُ طُلَيٌ قلبت ياؤُهُ الفًا لما ذكر وقد جاء هذا الجمع في مطلع قصيدة لابي الطيّب المتنبي قالها في صباهُ وهو

كم قتيلٍ كما قُتِلتُ شهيدِ ببياض الطُلى وورد الخدودِ

وقيل انهُ جمع لطُلْية بالضمّ . وثانيها رَباةٌ وهو اسم لما ارتفع من الارض كالرّبوة واصله رَبَوَة وجمعه رُبًى بضم الراء وفتح الباء مقصورًا واصله رُبَوٌ فقلبت واوها الفًا لما ذكر وقد

ذكر صاحب المواكب العلية أنهُ قد جاء في مفرد الرُّبى رَبوة بفتح الباء وفي مفرد الزُّبى بضم الزاي وفتح الباء زَبية كما جاء زُبية وفي جمع مَهاةٍ بفتح الميم الذي هو اسم للبقرة الوحشية مُهًى بضمها ولا يهولنّك عدم وجود امثال ذلك في القاموس فان مؤلفهُ على تبحرهِ في علم اللغة لم يأتِ فيهِ الاَّ بقُلّ من كُثر وغَيض من فَيض كما نبه عليهِ غير واحد من علماء اللغة

السؤال الثالث هو «هل ورد فعلة بضم الفاء او كسرها وسكون العين للمرَّة»

اقول ورد ذلك في قولهم رأيتهُ رُؤية بالضم وقولهم حججت حِجّة بالكسر ولا نظير لكل منها ذكرهُ ابن خالويه في كتاب لَيسَ وقد نظم ذلك بعض العلماء في أُرجوزة صرفيةٍ فقال

وقُلْ هُديتَ لم يجئْ للمرَّة فُعْلَةٌ بالضمةِ او بكسرةِ

الاَّ اثنتين رؤية بضمّ وحِجّة بالكسر مثلَ الاسم

اي كما ان الحِجة بالكسر الاسم من الحج وقد صرح بذلك في الثاني اصحاب الفصيح والصحاح والقاموس والمصباح ونُقل عن الكسائي وغيرهِ انهُ لم يسمع من العرب حججت حَجة بالفتح على القياس وانما يقولون حججت حِجة بالكسر لكن الحق انهُ سمع كما أنهُ سمع رَأية بالفتح للمرَّة وإن أنكرهُ بعض علماء اللغة كما يستفاد من لسان العرب وغيرهِ . وحضرته لما لم يقف على ذلك أورد القاعدة القياسيَّة ولم يزد عليها وهي ليست موضوع السؤال

السؤال الرابع هو «كم مصدرٍ سمع بوزن مفعول»

أقول قد سمع من المصادر على هذا الوزن أربعة عشر وهي (الميسور والمعسور) بمعنى اليُسر والعسر يقولون دعهُ من معسورهِ الى ميسورهِ (والمحلوف) بمعنى الحلف ذكرهُ الجوهري وغيرهُ (والمعقول والمجلود) يقولون ما لهُ معقول ولا مجلود أي ليس لهُ عَقل أي فهم ولا جلَد ومن سجعات الاساس ذهب طولا وعدم معقولا (والموعود) بمعنى الوعد (والمرجوع) بمعنى الرجوع ذكرهُ صاحب المحكم والمحيط الاعظم (والمردود) بمعنى الرد ذكرهُ الجوهري وغيرهُ (والمكذوب) بمعنى الكذب ذكرهُ صاحب القاموس وأقرهُ شارحوهُ (والمفتون) بمعنى الفتنة ومنهُ قولهُ تعالى بأيكم المفتون على احد الوجهين فيهِ ذكرهُ الجوهري وغيرهُ (والمحصول) بمعنى الحصول ذكرهُ صاحب القاموس والشهاب الخفاجي في شرح دُرَّة الغواص (والمرفوع والموضوع) لضربين من السير ذكرها اصحاب الاقليد والصحاح والاساس وفقه اللغة والقباب الزاخر واللباب الفاخر ولسان العرب وغيرهم يقال دابة ليس لها مرفوع و بعيرحسن المرفوع والموضوع و يستعمل موضوع مصدرًا لوَضَعَ الشيء يضعهُ بمعنى القاهُ من يدهِ وحطهُ (والمنفوع) بمعنى النفع ذكرهُ ابو القاسم على ابن القطّاع

في كتاب الابنية وتبعهُ تاج الدين احمد ابن عبد القادر بن مكتوم في كتابهِ الدرّ اللقيط في اغلاط القاموس المحيط فلا عبرة بانكار من انكرهُ . هذه عدة المصادر التي سمعت بوزن مفعول كما ذكرهُ اهل اللغة فالاقتصار على بعضها كما صنع الحريري في درّة الغوّاص حيث قال لم يجئ من المصادر على وزن مفعول الّا اسماء قليلة وهي الميسور والمعسور والمعقول والمجلود والمحلوف وقد ألحق بها قوم المفتون اه ليس على ما ينبغي واستعمال هذه الاسماء مصادر لا ينافي ان غالبها يستعمل اسم مفعول ايضًا . ومما ذكر يعلم ان حضرتهُ قد أجاد في الجواب عن هذا السؤال الّا انهُ اقتصر على خمسة منها والمطلوب في السؤال بيان عدّتها

السؤال الخامس هو « هل جاء فَعّال بالفتح والتشديد للمبالغة من أفعلَ »

اقول قد جاء في خمسة اسماء (درّاك) من أدرك اي كثير الادراك (وسأّر) من أسأر في الكاس انا ابقى فيها سُؤرًا اي بقية من الشراب (وجبّار) من أجبر ذكرهُ الفرّاء وابن خالويه في كتاب ليسَ وثعلب في اماليهِ والجوهريُّ في الصحاح وسلامةُ الانباريُّ في شرح المقامات يقال اجبرتهُ على الامر اي اكرهتهُ عليهِ و يقال ايضًا جبرتهُ الّا ان الاولى أعلى وعليها اقتصر صاحبا الفصيح والصحاح وهي لغة عامة العرب والثانية لغة تميم وحدها (وحسّاس) من أحسَّ اي علم باحدى الحواس ذكرهُ الزمخشريّ في شرح الفصيح وسلامة الانباري في شرح المقامات وليس من حَسَّ بهذا المعنى لانهُ كثير الاستعمال في كلام الفصحاء وحسَّ بهذا المعنى لغة رديئة بل انكرها الامام عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح وادّعى ان قول علماء الكلام محسوسات لحن وان الصواب مُحَسّات ونقل الشهاب القرافيُّ في شرح تنقيح الفصول مثل ذلك عن بعض اللغويين ثم قال ووقعت هذه العبارة لجمع كثير من الفضلاء كأبي عليّ وغيرهِ وكانهم نَحَوا بها نحوَ معلومات لاشتراك الجميع في الادراك اه . ومثل ذلك يقال في قولهم الحواس الخمس لكن الحق ثبوت حسَّ بمعني أحسَّ كما في شفاء الغليل للشهاب الخفاجيّ وان كان لغة رديئة كما في طراز المجالس لهُ (وحسّان) من أحْسَنَ بمعنى كثير الاحسان ذكرهُ سلامة الانباري في شرح المقامات . ومن هذا يتضح ان حضرتهُ قد اصاب في الجواب عن هذا السؤال وان اقتصر على اثنين حيث قال « ورد من ذلك درّاك من أدرك وسأّر من أسأر بمعنى لم يبق في الكأس بقية » الّا ان قولهُ بمعنى لم يبق سهو ظاهر والصواب بمعني أبقى كما ذكرنا

السؤال السادس هو « قد قسّم علماء البيان الاستعارة الى اصلية وتبعية وكذا المجاز المرسل فهل تنقسم الكناية الى هذين القسمين » وقد قال حضرتهُ في الجواب عنهُ ما خلاصتهُ

التبعية من خصائص الاستعارة لانها مبنية على التشبيه فلا تكون في المجاز المرسل ولا في الكناية الى آخر كلامهِ

اقول اما انكارهُ المجاز المرسل التبعيّ فهو غير مسلّم فقد اثبتهُ من اهل الاصول العزُّ بن عبد السلام والنَّقشوَانيّ وغيرهما ومن اهل البيان ابو القاسم السمرقنديُّ في حواشيهِ على رسالتهِ المشهورة وقد حذا حذوَهُ الجم الغفير من متأخري علماء البيان الى الآن حتّى قال بعضهم في منظومة لهُ سمّاها تُحفةَ البيان في باب المجاز المرسل

مرشّحًا مجرّدًا ومطلقا يأتي وفي الاعلام قد تحققا

على الاصحّ وهو ايضًا أصلي وتبعيّ حَسْبَ نصّ النَّقلِ

واشار اليهِ من متقدميهم الامام السكاكيّ في العلم الثاني من القسم الثالث من كتابهِ مفتاح العلوم والسعد في شرحَيهِ على التلخيص ومثالهُ قرأ في قولهِ تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا أردتَ قراءتهُ بقرينتهِ اي الاستعاذة قبل القراءة فلو جعل قرأ باقيًا على معناهُ الحقيقي لاقتضى الكلام الامر بالاستعاذة بعدها وهو خلاف المقصود والعلاقة فيهِ المسببيَّة لان القراءة مسببة عن ارادتها فهي معتبرة اولاً بين المَعْنَيَيْن المصدريين فيقال استعمل لفظ القراءة في معنى ارادتها لعلاقة المسببية وهذا مجاز مرسل أصليّ واشتقّ منهُ قرات بمعنى أردتَ القراءة فيكون مجازًا مرسلاً تبعيًا ونطق في نطقت الحال بكذا بناء على انهُ مجاز مرسل فانهُ بمعنى دلّ والعلاقة الملزومية فان الدلالة لازمة للنطق فهي معتبرة اولاً بينهما فيقال استعمل لفظ النطق في الدلالة لعلاقة الملزومية واشتقّ منهُ نطق بمعنى دلّ فيكون المجاز المرسل في المصدر اصليًا وفي الفعل تبعيًا وكذا يقال في الوصف في نحو الحال ناطقة بكذا . ولا يقال كما اشار اليهِ حضرتهُ ان التبعيّة انما جاءت في الاستعارة لانها مبنية على التشبيه وهو يستدعي استقلال الطرفين ليصح وصف احدهما بأنهُ مشبّهٌ والآخر بأنهُ مشبّهٌ بهِ اذ لا يصح للموصوفية الاّ المعنى المستقل بالمفهومية ومعنى الفعل مثلاً بمعزل عن الاستقلال لدخول النسبة في مفهومهِ فلا تجري فيهِ الاستعارة اصالةً بل تبعًا لأصلهِ الذي هو المصدر . والمجاز المرسل غير مبنيّ على التشبيه فلا مانع من جريانهِ في الفعل مثلاً ابتداء فيكون اصليًا لاغير لانا نقول من المعلوم ان المجاز المرسل لا بد لهُ من علاقة بين المعنيين بأن يكون الحقيقيّ موصوفًا بأنهُ ملزوم او مسبّب او كلّ او حالّ الخ والمجازيّ موصوفًا بأنهُ لازم او سبب او جزء او محلّ الخ فلا بدّ من كونهما مستقلين لقولهم انهُ لا يوصف الاّ ما كان مستقلاً ومعنى الفعل مثلاً غير مستقلّ فلا يكون المجاز المرسل فيهِ الاّ تبعيًا كما لا تكون الاستعارة فيهِ

الّا تبعية فالعلة المقتضية للتبعية مشتركة بينهما كما حققهُ الفاضل الهَرَوي حفيد السعد والمولى احمد المَوْلَوي الشهير بنجم باشى وغيرها

واما انقسام الكناية الى اصلية وتبعية فلم اظفر في كلام احد من العلماء بالتنبيه عليهِ ولا باشارة اليهِ وانما هو امر خطر ببالي اثناء تأليف كتابي (هداية الجناز الى نهاية الايجاز) قياسًا على الاستعارة والمجاز المرسل فانها لا تتحقق الّا بعد اعتبار الملزومية بين المعنيين اعني كون الحقيقيّ ملزومًا والكنائيّ لازمًا لهُ وهذا وصف للاوّل بالملزومية وللثاني باللازمية وقد قالوا لا يصلح للموصوفية الّا ما كان مستقلاًّ بالمفهومية ومعنى الفعل مثلاً لا استقلال فيهِ فلا تكون الكناية فيهِ وكذا في الوصف الّا تبعيةً فالعلة المقتضية للتبعية فيهما مشتركة بين الاستعارة والمجاز المرسل والكناية المفردة فالظاهر انها ايضًا تكون تبعية كما تكون اصلية وان لم ينقل ذلك عنهم اذ لا محذور فيهِ ولا امر يأباهُ بل توجيهم التبعية تقتضيهِ فاذا كانت الكناية فعلاً او وصفًا اعتبرت الملزومية اولاً في المعنى المصدريّ ففي نحو رآني فاحمرَّت مقلتاهُ الذي هو كناية عن الغضب تعتبر ملزومية الاحمرار بقيد اضافتهِ الى المقلتين للغضب وينقل اسم الملزوم الى اللازم ويشتق منهُ احمرَّت مسندًا الى المقلتين بمعنى غضب وكذا يقال في نحو قول الخنساء

طويلُ النجاد رفيعُ العِماد كثير الرَّماد اذا ما شتَا

واما ما ذكرهُ حضرتهُ من ان التشبيه قد يقع في الكناية كما في قولهم يقدّم رجلاً ويؤخر أُخرى ففيهِ نظر من وجهين . الاول ان هذا المثال من قبيل الاستعارة التمثيلية ولم ينقل احد فيما علمتُ بأنهُ من قبيل الكناية ولو سلم جدلاً انهُ من قبيلها باعتبار انّ التردُّد في المشي يلزمهُ التردُّد في الافكار لم يكن فيهِ تشبيه اصلاً بل ملزومية المعنى الحقيقيّ ولازمية المعنى الكنائيّ . والثاني انهُ لا قائل بوقوع التشبيه في الكناية فان علماء البيان مع اختلافهم فيها على ستّ طرُقٍ اوردتها بما لها وما عليها في كتابي هداية الجناز اتفقوا على اعتبار الملزومية فيها الّا ان يكون مقصود حضرتهِ احداث طريقة جديدة فيها وهذا في حدّ ذاتهِ لا بأس بهِ ولكن يمنع منهُ ما ذكرهُ بعد ذلك من ان الكناية تخالف الاستعارة والمجاز المرسل بكون اللفظ فيها يراد بهِ لازم معناهُ الخ فانهُ موافق لما قالوهُ بمبناهُ ومعناهُ ومخالف بالكلية لما ادعاهُ

ومن هذا كلهِ يتضح لدى حضرات القراء الكرام أني ما قصدتُ بهذا السؤال الّا الاستفهام الحقيقي عن ذلك الامر الذي خطر بالبال متمنيًا وجود فكر يؤيدهُ او نصّ يعضدهُ او اشارة توافقهُ او عبارة تساوقهُ

واما ما ادعاهُ حضرتهُ بعد ذلك من ان الاوجه التي قبلهُ من قبيل المعاياة لا يراد بها الافادة ولا الاستفادة ولا يُسأَل عن امثالها طالب علم ولا يحكَم بعدم المعرفة على من لا يتفق لهُ الاطلاع على نظائرها الى آخر كلامهِ فاقول في الجواب عنهُ هي وإن كانت من نوادر اللغة وشواردها الَّا أنَّ اعتناء العلماء بامثالها معروف حديثًا وقديمًا فقد خصصوا لها من اوقاتهم النفيسة جانبًا عظيمًا والَّفوا فيها الكتب العديدة والاسفار السديدة التي لم تكتحل عين الزمان بمثلها فتسابق الفضلاء الى نيلها وجدُّوا في الاقتباس من فوائدها والتقاط بعض فرائدها الَّا ان منهم من افردها بالتأليف كابن خالويه فانهُ الَّف فيها كتابًا حافلاً في ثلاثة مجلدات سماهُ كتاب ليس وموضوعهُ ليس في اللغة كذا الَّا كذا وقد تعقَّب عليهِ الحافظ علاء الدين مُغْلَطاي مواضع منهُ في مجلَّد سماهُ الميس على ليس ومنهم من ضمها الى غيرها كالجلال السيوطي فانهُ قد ذكر منها في كتابهِ المزهر ما يقضي الناظر فيهِ العجب وأتى فيهِ ببدائع وغرائب منها اذا وقف عليها الحافظ المطلع قال هذا منتهى الارب وذكر ابنية الاسماء والافعال ونوادر من التأليف وضوابط واستثناءات في الابنية وغيرها وغير ذلك من النفائس الكثيرة التي تهتزّ لها الطباع واللطائف الشريفة التي تطرب بها الاسماع فامثال هذه المسائل وإن كان كما قال حضرتهُ لا يحكم بعدم المعرفة على من لم يطَّلع عليها الَّا انهُ يمدح غاية المدح من عرف شيئًا منها او وجَّه عنان عنايتهِ اليها

ثمَّ ان حضرتهُ قد اورد في رسالتهِ اسئلة واجاب عنها فاردت البحث معهُ في الغالب منها

منها ما صيغةٌ تأتي بمعنى اسم الفاعل وليس لها نظير في العربية قال ويجاب عنهُ بمثل وَسواس بمعنى موَسوِس

واقول لهُ نظائر منها صَلصال بمعنى مُصلصل اي مصوّت وتمتام من تمتم بمعنى اكثر التاء في كلامهِ وفأْفاء من فأفأ بمعنى اكثر الفاء في كلامهِ وثرثار من ثرثرَ بمعنى اكثر في كلامهِ او في اكلهِ وغير ذلك من الصيغ التي جاءت على فعلال بفتح الفاء من الفعل المضاعف وهو ما كانت فاؤُهُ ولامهُ الاولى من جنس وعينهُ ولامهُ الثانية من جنس آخر فان الاكثر فيها كونها بمعنى اسم الفاعل كما في أوضح المسالك لابن هشام وشرح التسهيل للدماميني والاشباه والنظائر النحويَّة للجلال السيوطي وغيرها فان كان مراد حضرتهِ ان الوسواس بمعنى الموسوس لا نظير لهُ كما وقع في كلام بعض ارباب الحواشي النحويَّة حيث قال وليس في العربية فعلال بالفتح غيرهُ اه فهو غير مسلم لوجود عدَّة نظائر لهُ لكن هذا يبعدهُ الاتيان بلفظ مثل في الجواب وإن كان مرادهُ ان صيغة فعلال كوسواس ونظائرهُ تأتي بمعنى اسم الفاعل وليس لها نظير فهذا

لا معنى لهُ فان كلَّ صيغة وضعت بالوضع النوعي لمعنى لا نظير لها في الدلالة على هذا المعنى كما لا يخفى على من تأمّل و بلباس الانصاف تجمّل

ومنها ما صيغ لاسم الفاعل من غير الثلاثي ليست على حكم بنائهِ قال ويجاب عنهُ بمنْتِن بضم التاء اتباعًا لضمة الميم وممصن ومُلفَج ومُسهَب بفتح ما قبل الآخر

اقول اما الاوَّل فهو اسم فاعل من أنتَنَ وسمع فيهِ مِنتِن بكسر التاء على الاصل ومِنتِن بكسر الميم اتباعًا للتاء

واما الثاني ففيهِ تحريف من الطبع وصوابهُ مُحْصَن وهو اسم فاعل من أحصن بمعنى تزوج و يكون اسم مفعول على الاصل من أحصنهُ التزوج واما الثالث فهو هكذا بالحاء المهملة وقد وقع ضبطهُ بها في كلام اثنين من ارباب الحواشي النحوية حيث قالا ملفح اسم فاعل من ألفحَ بالفاء والحاء المهملة اي افتقر وصار مفلسًا هذا كلامها لكنهُ خطأٌ والصواب ملفج بالجيم كما يعلم من كتب اللغة وقد جاء فيهِ كسر الفاء على الاصل كما ذكرهُ ابن السكيت في كتاب التوسعة واما الرابع فهو اسم فاعل من اسهب اذا اكثر من الكلام وجاء فيهِ كسر الهاء على الاصل ومفاد كلام ابن السكيت ان المسهب بالكسر والمسهب بالفتح بمعني واحد كما في نفح الطيب والذي حققهُ ابو الحجاج الاعلم في كتاب ابن عباد ملك الاندلس ان الاول يقال للبليغ المكثر من الصواب والثاني يقال للمكثر من الخطإِ . وانحصار حضرتهِ في مجيء اسم الفاعل من أفعَلَ بصيغة مُفعَل بفتح العين على هذه الثلاثة يوهم انهُ لم يرد غيرها وليس كذلك فقد جاء مسهَم بفتح الهاء من أسهَمَ بمعنى أسهب ومُهتَر بفتح التاء من أهتَر يقال أهتَرَ الرجل اذا ذهب عقلهُ من كبر او مرض او حزن وغيرها مما يعلم باستقراء الدواوين اللغوية

ومنها ما مَصدَرَان ليس لهما ثالث قال ويجاب عنهُ بتلقاء وتبيان بكسر التاء فيهما

اقول هكذا اشتهر وهو غير مسلَّم فان لهما ثالثًا وهو تِنضال مصدرًا لناضلَهُ كما ذكرهُ الحريري في درة الغواص ورابعًا وهو تِشراب مصدرًا لشرب يقولون شرب الخمر تِشرابا كما ذكرهُ الشهاب الخفاجيّ في شرحها قال وسمع فيهِ الفتح ايضًا واقتصر عليهِ الجوهريّ وغيرهُ وخامسًا وهو تمثال مصدر مثلت الشيء تمثيلاً وتمثالاً كما ذكرهُ ابن مكتوم في تذكرتهِ اللغوية التي سماها الاوابد وهي في ثلاثة مجلدات

ومنها ما كلمتان ليس في اللغة نظيرها قال و يجاب عنهُ بصَصَص وقَقَق

اقول كلاهما بمعنى الحدث الخارج يقال قعد الصبي على صَصَصِهِ او قَقَقِهِ اي حدَثهِ وما ذكرهُ حضرتهُ من انها لا نظير لها في اللغة قد قلّد فيهِ صاحب القاموس حيث قال لم يوجد في

كلامهم ثلاثة احرف من جنس في كلمة غيرها اه وهو غير مسلَّم فقد ذكر الجلال السيوطي في المزهر لها ثالثًا وهو (ببب) مصدر بَبَّ الغلام اذا امتلأ بدنهُ نعمةً وشبابًا ورابعًا وهو (ههه) مصدر ههَّ الرجل يههُّ اذا احتبس لسانهُ وخامسًا وهو (ددد) اسم للهو واللعب ويقال فيهِ دددٌ بتشديد الدال الثالثة وزاد صاحب الكواكب الدرية سادسًا وهو (ززز) بمعنى الصَّنع يقال ززززهُ اي صنعتهُ حيث قال في المنظومة الصرفية

وززز بمعجمات وردا وددد بمهملات عهدا

وقد عقد ابن القطاع في كتاب الابنية لهذا النوع اعني ما كانت فاؤهُ وعينه ولامهُ من جنس واحد فصلاً مخصوصًا

هذا ما لاح لي في المباحثة مع حضرتهِ والاطالة قد اقتضتها الحالة وما المقصود من امثال هذه المناظرة الاَّ البحث عن الحقائق على قدر الامكان

طهطا احمد رافع

ذكاء المرء محسوب عليهِ

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

رأيتُ في الجزء الثالث في باب المناظرة سؤالاً لحضرة الاديب محمَّد افندي طلعت نصهُ «اذا كانت اسباب المعيشة دائرة بين امارة وصناعة وزراعة وتجارة ومن كانت علاقتهُ باحداها كبرى او صغرى كانت معيشتهُ بحسبها غنًى او فقرًا فما وجه قولهم ذكاء المرء محسوب عليهِ» ولا شبهة ان حضرة السائل مصيب في ان العيش يبتغى باحد هذه الاسباب الاربعة ولكنني لم اتبين معناهُ من قولهِ مَن كانت علاقتهُ بها كبرى او صغرى فما المراد بالعلاقة هنا هل المراد بها الإلمام بأساليب اسباب المعيشة او ما نالهُ الانسان بها من المال والشرف فان اراد الاول فالمشاهد يدلنا على تباين لا يكيَّف بكيفية فترى انسانًا اعتمد على سبب من هذه الاسباب وعلمهُ فيهِ قاصر ولكنهُ نال منهُ اكثر مما نالهُ رجل آخر من ذلك السبب عينهِ وعلمهُ فيهِ بالغ حدَّ الاعجاز وترى اميرًا ليس لهُ شيء من الذكاء وهو يتسلَّط على الملايين ويتمتع بما لا مزيد عليهِ من المجد والحظ الوافر . وترى اميرًا آخر اوفر منهُ ذكاء ولكنهُ دونهُ في الامارة . وترى كاتبًا اتصلت علاقتهُ بالكتابة من وجهها وسمت فيها منزلتهُ وحظهُ ليس اكثر من حظ كاتب آخر مستوٍ على منصَّة ارقى المناصب الكتابيَّة وهو دون الاول في اتقان هذه الصناعة وامثلة ذلك كثيرة لا يسعنا سردها والسر فيها غامض

وان اراد الثاني فلا محل للسوال عن وجه قولم ذكاء المرء محسوب عليهِ لان بلوغ الانسان مركزًا من مراكز التجارة مثلاً لا يدلنا على انهُ بلغهُ بذكائهِ واذا وقف على نقطة سفلى ولم يتعدَّها او تقهقر عنها فلا يوْخذ وقوفهُ او تقهقرهُ دليلاً على خمول ذهنهِ فربَّ تاجر عالم باساليب التجارة اخَّر بيع بضائعهِ املاً بزيادة الربح فرخصت البضاعة او اصابتها آفة اتلفتها مع انهُ لم يفعل ذلك الاَّ عن الحكمة والسداد. وربَّ تاجر آخر غير عالم باساليب التجارة تأخر عن بيع بضائعهِ جهلاً منهُ واهمالاً ثم اشتدَّت الحاجة الى تلك البضائع فباعها بربح كثير وجمع ثروة وافرة. وكما نجد في المقصد الاول نجد في المقصد الثاني رجلاً بلغ من التجارة مبلغًا عظيمًا وهو على غير شيء من طرقها ومزاجها وآخر في الدرك الاسفل منها وهو ابن بجدتها وكل هذا لا ينافي ما للعناية من التأثير في الحالتين ولله در القائل

واذا العناية راقبتكَ عيونها نَمْ فالمخاوف كلهنَّ امانُ

ينتج مما تقدَّم ان مقدمة السوَّال ليست صحيحة فالسوال مثلها اللهمَّ اذا وجدنا ان كل احدٍ يحصل من اسباب المعيشة بقدر استعدادهِ وان قيمة حظ كل امرء انما هي بقدر ما يحسنهُ ولسنا واجدين الحال كذلك

واني احوِّر السوال هكذا "أصحيح ما قيل من ان ذكاء المرء محسوب عليهِ وان كان أمين الرزق احسِب الذكاء وبأيَّة كيفية وما الدليل ولِمَ عدَّ الذكاء جزءًا من الرزق"

محمَّد مصطفى

بقلم تحريرات مديرية الشرقية

ردٌّ على دفعٍ

لم يزل حضرة الاديب شاكر افندي شقير مصرًّا على ان لا التفات في بيتي وذاك لانهُ انتقل من الكلام في الغيبة جمعًا الى الخطاب مفردًا وهذا مردود. لانهُ لا يشترط في الالتفات اتفاق الملتفت منهُ واليهِ في الافراد والجمع بل يشترط ان ينتقل فيهِ من واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى آخر كما في الآية « واستغفروا ربكم ثم توبوا اليهِ ان ربي رحيم ودود » فالالتفات من « ربكم » في الخطاب جمعًا الى « ربي » في التكلم مفردًا. والآية « وانزل من السماء ماء فانبتنا » والالتفات من « انزل » في الغيبة مفردًا الى « انبتنا » في التكلم جمعًا. والآية « وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمتهِ حتى اذا اقلَّت سحابًا ثقالاً سقناهُ لبلدٍ ميت فانزلنا بهِ الماء فاخرجنا بهِ من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» والالتفات من «وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمتهِ » في الغيبة مفردًا الى «سقناهُ

.. فانزلنا .. فاخرجنا .. نخرج » في التكلم جميعاً . و بيتي المتنبي

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى ارواحنا سبُلا
بما بجفنيك من سحر صلي دنفاً يهوى الحبوة واما ان صددتِ فلا

وفيهما التفاتان الاول من «الاحباب» في الغيبة جمعاً الى « بجفنيك .. صلي .. صددتِ » في الخطاب مفرداً . والثاني « من ارواحنا » في التكلم جمعاً الى « دنفاً يهوى » في الغيبة مفرداً . والالتفات في و بيتي وداك من « اناس خاب سعيهم يستمطرون » في الغيبة جمعاً الى « اجاعل انت .. » في الخطاب مفرداً

والشرط بأن يكون الملتفت منهُ واليهِ واحداً في الحالين لايمنع من المخالفة بينهما في الافراد والجمع لفظاً وتأويل الواحد ليطابق الآخر حسب مقتضي الحال وقد اوّل شاكر افندي « ربي » الى « ربكم » في الآية وهكذا يتأوّل الاختلاف اللفظي في الآيات التي اوردتها و يتأول بيتا المتنبي هكذا

لولا مفارقة الحبيبة ما وجدت المنايا الى روحي سبلا بما بعينيكِ من سحر صلي دنفاً يهوى الحبوة واما ان صددتِ فلا . و بيتا وداك

لا درّ درّ الخ اجاعلون انتم يفوراً ... لكم الخ

قال الشيخ عبد الغني النابلسي « وهو (الالتفات) عند السكاكي رحمهُ الله تعالى الانتقال من التكلُّم او الخطاب او الغيبة الى الآخر اذا كان مقتضى الظاهر ايرادهُ فعدل عنهُ الى الآخر كقول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد فان مقتضى الظاهر ليلي بالتكلم » واستدرك ما فات السكاكي لان تعريفهُ الالتفات يحتمل التجريد ايضاً كما لا يخفى بقولهِ « والاولى ان يقال انهُ التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنهُ بآخر منها بشرط ان يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر و يكون مقتضى ظاهر سوق الكلام ان يعبّر عنهُ بغير هذا الطريق لان الالتفات هو الانتقال من التكلم والخطاب والغيبة الى اسلوبٍ آخر غير ما يترقبهُ المخاطب ليفيد تطرية في نشاطهِ وايقاظاً في اصغائهِ » فترى النابلسي دقق النظر في التحديد وجعل كلامهُ أمنع من كلام السكاكي ومع ذلك لم يتعرض للاتفاق والاختلاف في الافراد والجمع وانما نصّ على وجوب كون الملتفت منهُ واليهِ واحداً في الحالين اتباعاً لما ذهب اليهِ صدر الافاضل في ضرام السقط مع ان الجمهور لايلتزملون هذا الشرط

وقد رأينا ان في بيتي المتنبي التفاتين لا ينقضهما هذا الشرط بالتأويل وفي بيتي الطائي

التفات ومع ذلك فقد انكر شاكر افندي كل ذلك ونسب اليَّ الوهم

اما دفاعهُ في «اغلاط» فقد استعمل فيهِ المغالطات واثبت ان الغلط اما مصدر مطلق او للدلالة على الحقيقة المشتركة بين الكثرة والقلة وانهُ لا يصح جمعهُ لانهُ مبهم كما لا يصح جمع الذهب وعلى ذلك اقول

انما يمتنع جمع المصدر المؤكد لعاملهِ لا غير كما صرَّح ابن مالك بذلك بقولهِ

وما لتوكيدٍ فوحِّدْ ابدًا وثنِّ واجمعْ غيرهُ وافردا

وشرح ذلك ابن عقيل هكذا: لا يجوز تثنية المصدر المؤكد لعاملهِ ولا جمعهُ بل يجب افرادهُ فتقول ضربت ضربًا وذلك لانهُ بمثابة تكرير الفعل والفعل لا يثنى ولا يجمع واما غير المؤكد وهو المبين للعدد والنوع فذكر المصنف انهُ يجوز تثنيتهُ وجمعهُ فامَّا المبين للعدد فلا خلاف في جواز تثنيتهِ وجمعهِ نحو ضربت ضربتين وضربات واما المبين للنوع فالمشهور انهُ يجوز تثنيتهُ وجمعهُ اذا اختلفت انواعهُ نحو سرت سيري زيدٍ الحسن والقبيح وظاهر كلام سيبويه انهُ لا يجوز تثنيتهُ ولا جمعهُ قياسًا بل يقتصر فيهِ على السماع وهذا اختيار الشلوبين .اه

والغلط يتنوع و يتعدد فتقول غلطت غلط زيدٍ في النحو وغلطهُ في الصرف وتقول وجدت غلطًا في الصفحة الاولى وآخر في الثانية فلا مشاحة اذًا في جواز جمعهِ وانما الخلاف وهو ضعيف في هل يجمع قياسًا او سماعًا وقد اختار كثيرون من الكتَّاب جمعهُ قياسًا ومن ينكر ذلك فليأتنا بجمعهِ السماعيّ فنكون لهُ من الشاكرين

وقد اخذني العجب من قول شاكر افندي بعدم جواز جمع الذهب مع انني اعلم بان لا خلاف في جواز جمعهِ وعند ما اردت التثبت من ذلك وقعت يدي اتفاقًا على اصغر كتاب عندي في اللغة فرأيتُ لهُ هذه الجموع الثلاثة اذهاب كاغلاط وذهوب وذهبان

ميت غمر جرجس حاوي

اجازة البيت

قال جناب الشاعر الشهير سليمان افندي صوله مجيزًا البيت الوارد في الجزء الماضي

رسالة ذي ودٍ قديمٍ كانهُ سلافة خمارٍ تجود مع الدهرِ
واعجب ما فيها ارى انني بها سكرتُ وما باليتُ بالنهي والامرِ
سما وحلا ما قد جنتهُ كأَنها بزهر الحجا تاهت على الانجم الزهرِ

او

سما وحلا ما قد جنتهُ كانها تنال من الازهار والانجم الزهرِ

وبهذا يقع اللف والنشر فما حلا من الازهار وما سما من الانجم مع الجناس المتقارب ايضاً . بيد ان عدم مبالاة الاديب بالنهي والامر يعاب عليهِ فلو قال

وأقسم بالرحمن اني براحها سكرتُ فكان السكر داعية الشكرِ

لكان ذلك املح من ذاك الطباق وابدع على الاطلاق ولكنَّ للناس في ما يعشقون مذاهب فلا لوم ولا تنقيب على ذاك الاديب

وقال جناب الاديب محمَّد افندي طلعت

سما وحلا ما قد جنتهُ كأنَّها ثمار المنى للذوق او نزهة الفكرِ

وقال جناب الاديب مصطفى افندي الهجين

سما وحلا ما قد جنتهُ كأنَّها فتاةٌ جنت وردًا سما وجنة البدر

واذا كان جنى من الجناية فيكون تمام البيت لحاظ ظبي ترمي بسهمٍ من السمر

لغز حسابي

يا عالمًا بحسابٍ بلغت فيهِ النهايهْ
ماضبط عشرٍ وعشرٍ ومثلها في الحكايهْ
ومثلها دون زيد مجموعها ثلثمائهْ

الفيوم ابرهيم رمزي

بابُ الزراعة

المملكة النباتية في الحال والاستقبال

مقتطفة من خطبة الرئاسة للاستاذ غودهل رئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي

المملكة النباتية واسعة النطاق كثيرة الاجناس والانواع فقد عُرف الى الآن من ذوات الازهار منها مئة الف نوع وسبعة آلاف ويحتمل انهُ يوجد في الاراضي لم تكشف الى الآن اكثر من عشرة آلاف نوع أخرى فيكون بها عدد الانواع مئة وسبعة عشر الفًا وقد زادها بعضهم الى مئة وخمسين الفًا . اما النباتات التي تزرع لاجل الطعام والخشب والنسج والدباغة والصباغة واستخراج الصموغ والزيوت والطيوب والادوية فلا تبلغ كلها ثلثمئة نوع . واذا اضفنا اليها النباتات التي نستعملها بريَّة اي من غير ان نزرعها زرعًا زاد عدد هذه الانواع كثيرًا . ولا

يمكن حصر كل الانواع التي تستعمل برية و بستانية ولكن الارجح ان عددها لا يزيد عن الف نوع الا قليلاً

والمستعمل من النباتات التي لا زهر لها قليل جدًّا بالنسبة الى غير المستعمل فانواع السراخس خمس مئة ولكن المستعمل منها خمسة انواع وانواع الطحالب خمس مئة ايضًا والمستعمل منها اربعة . وعليهِ فالناس ينتفعون الآن بجزء من مئة جزء من انواع النبات ويهملون التسعة والتسعين جزءا . أفلا يمكن ان ينتفعوا بشيء من هذه التسعة والتسعين جزءا . وهذا السوال سألهُ اسلافنا الاولون مرارًا عديدة وامتحنوا النباتات البرية عصرًا بعد عصرٍ و بذلك ازداد عدد النباتات البستانية ولكنهُ لم يتعدَّ الحد الذي ذكرناهُ

والآن زادت وسائط الانسان ومعارفهُ الزراعية والنباتية والكيماوية وكثيرون يمتحنون النباتات البرية لعلهم يجدون بين انواعها ما يمكن جعلهُ بستانيًّا والانتفاع بهِ . ولا بدَّ من أن يسأل سائل قائلاً هل ينتظر ان يزاد عدد النباتات التي تستعمل للطعام واللباس والصباغة والعلاج وجوابًا على ذلك نقول

ان الكيمياء سابقت النبات الى بعض المطالب فصنع الكيماويون كثيرًا من الاصباغ والطيوب والادوية التي كانت تستخرج من النبات وصنعوا ايضًا الحوامض والمركبات الايثيرية التي تكون في الاثمار ولا يبعد انهم يصنعون ايضًا سكرًا مثل السكر الذي في الاثمار ونشا مثل النشا الذي فيها ولكن قد يستحيل عليهم ان يصنعوا اثمارًا مثل اثمار النبات واليافًا مثل اليافهِ

ومهما اجتهد الكيماويون ووسعوا نطاق علم الكيمياء يبقى الناس في حاجة الى الفلاح والزراع زمانًا طويلاً ويمكن قسمة النباتات التي ينتفع بها الآن الى تسعة اقسام الحبوب والخضر والفواكه والاخشاب والالياف ومواد الدباغة والصموغ والطيوب والعلف وهاك ما يمكن ان ينتظر اكتشافهُ واضافتهُ الى كل منها

اولاً الحبوب * الحبوب المستعملة طعامًا كثيرة الانواع فالمزروع منها في اسيا واوربا وافريقية عشرون نوعًا اشهرها القمح والارز والشعير والهرطمان والدخن والذرة والاخير منها اميركي الاصل فلم يعرف الا بعد اكتشاف اميركا والمرجح انهُ كان يزرع فيها منذ عهد قديم والبقية كانت تزرع في نصف الكرة الشرقي والقمح والشعير منها قديمان جدًّا اي منذ اربعة آلاف سنة وهذا الزمان الطويل ولَّد اصنافًا كثيرة في نوعيها فقد عدَّ بعضهم ستة وستين صنفًا من القمح . وفي المتحف الزراعي ببوبلسدرف سبعمئة صنف منهُ

واذا صدقت اخبار الصين فالارز كان يزرع فيها منذ الوف كثيرة من السنين وقد كثرت اصنافهُ بسبب ذلك ففي بلاد يابان وحدها اكثر من ثلثمئة صنف في الارض السقي ومئة صنف في الارض البور (العذي)

ولا يعرف البري من الخلفة الاَّ الارز فان البري منهُ معروف. فلو انقرض القمح والشعير الآن ما امكننا ان نعرف اين اصلها البري حتَّى نعيد زراعتها منهُ

وليس بين النباتات ما يقوم مقام الخلفة (الحبوب) فان في حبوبها من النشا والمواد النيتروجينية ما يكفي لجعلها طعامًا كافيًا للانسان ويمكن حفظها من وقت الى آخر ونقلها بسهولة من بلد الى آخر ولو انقرضت الانواع المشهورة من الخلفة لقام علماء الزراعة يبحثون عمَّا يقوم مقامها في حقول الامتحان وجرَّبوا زراعة الحبوب المعروفة على اساليب شتى واستخدموا لذلك جميع المعارف النباتية التي وصلوا اليها بالاختبار الى ان يتصلوا الى نوع جديد يقوم مقام الانواع المنقرضة ويتم لهم ذلك في نحو خمسين سنة من الزمان. والاجدر بهم ان يبتدئوا من الآن لعلهم يجدون انواعًا تفضل على الانواع المعروفة

ثانيًا الخضر ويدخل تحتها ما يطبخ كالكوسى وما يؤكل بدون طبخ من البقول كالخس. وبعض انواعها اميركي الاصل كالبطاطس والطماطم (وذكر الخطيب ايضًا اليقطين والكوسى والحق انهما كانا معروفين في المشرق قبل اكتشاف اميركا بمئات من السنين) وبقيَّة الخضر كانت معرفة قبل اكتشاف اميركا الاَّ نوعًا من الاسبانخ أُتي بهِ من زيلندا الجديدة

ومن اقدم الخضر والبقول اللفت والبصل والكرنب والبقلة الحمقاء والفول والحمص والعدس وهذه كلها كانت معروفة منذ اربعة آلاف سنة ويتلوها في القدمية الفجل والجزر والشمندر (البنجر) والثوم والكرفس والجرجير والخس والهليون والكرات. ثم البقدونس والخرشوف والهندباء والاسبانخ

والخضر والبقول كثيرة الانواع والاصناف وقد زادت اصنافها اخيرًا باعتناء الزارعين فصار للبطاطس اكثر من اربعين صنفًا وللكرفس اكثر من عشرين صنفًا وللجزر اكثر من ثلاثين وللبنجر والفجل اكثر من اربعين وللخس والبصل اكثر من خمسين وللفت اكثر من سبعين والكرنب واللوبياء والباقلَّى اكثر من مئة ولم تتولَّد هذه الاصناف كلها الاَّ بتوالي الزرع وشدة الاعتناء والالتفات الى كل تغيُّر يتولَّد في النبات

وكثيرًا ما يكون النبات البستاني بعيدًا بعدًا شاسعًا عن النبات البري الاصلي حتَّى

يعسر علينا ان نستدل كيف انتبه البشر الى زراعته مثال ذلك الكرنب (الملفوف) فانهُ قد زُرع منذ عهد قديم جدًّا كما يعلم من كثرة صنوفهِ والتغيير الكثير الذي طرأ عليهِ. فالكرنب البري نبات دائم عريض الاوراق ثخينها صقيلها على اوراقهِ غبار لزج تطول ساقهُ حتى تبلغ قدمين او ثلاثًا وتزهر في رأسها ازهارًا صفراء او بيضاء امَّا الكرنب البستاني فالغالب فيهِ ان تنمو اوراقهُ ويلتف بعضها على بعض فيكون منها رأس كروي او مخروطيٌّ وتكون ازهارهُ حينئذٍ صغيرة جدًّا في جوفهِ وقد تبقى الاوراق منبسطة وتكبر الازهار فقط فيكون منها القنبيط. وقد تبقى الاوراق والازهار على حالها وتكبر الساق وتتضخم فيكون منها الكرنب المعروف في بلاد الشام. وقد تتضخم ضلوع الاوراق فقط الى غير ذلك من الاصناف

فهب ان الانسان جال في سواحل بلاد فرنسا مثلاً فرأى نبات الكرنب البري برائحتهِ الشديدة فانهُ لا يرى فيهِ شيئًا يدل على ما صار اليهِ بالزرع والتربية ولا شيئًا يفضلهُ على ما حولهُ من النباتات البريَّة. كذلك اذا جال في نجود بلاد بيرو باميركا فانهُ يرى فيها نباتًا شديد الرائحة من عائلة عنب الثعلب لهُ اثمار صغيرة حرّيفة الطعم فاذا علم ان تلك البلاد انتجت البطاطس وان هذا النبات من عائلتهِ فربما يحسب انهُ ينتج منهُ شيءٌ مفيد ولكن أيكفي ذلك لنقل هذا النبات الى الجهات الشماليَّة وزرعهِ فيها طعامًا للانسان ثم هب اننا رأينا البعض يستطيبون طعمهُ فهل ينتظر ان تقتنع الناس باستعمالهِ فان لم نستطع ذلك يبقى في حدائق الازهار للزينة لا غير

وهذا الامر واقعي فان نبات الطماطم (البندورة) زُرع في اوربا منذ سنة ١٥٥٤ ولكنَّ الناس لم يشرعوا في اكل الطماطم الاَّ منذ عهد حديث جدًّا [1] اما الآن فالمزروع منهُ لا يكفي حاجة الناس ويكاد لا يؤكل طعام بدونهِ

ويستعمل الناس الآن انواعًا كثيرة من الخضر ما لم يشع استعمالهُ كثيرًا ولاسيما في البلدان القاصية مثل بلاد يابان ونحوها فيجب ان يُنتبه اليها ويعتنى بزراعتها عسى ان يكون منها ما يصلح لان يكون طعامًا مغذيًا لذيذًا ولاسيما انواع الفطر والكمأة

ثالثًا الفاكهة * يمتاز هذا العصر على العصور السالفة بسهولة نقل الفواكه من بلاد الى أخرى خضراء ومقددة فالليمون السوري يباع في روسيا والزبيب في اميركا. واسواق القاهرة لا تخلو من اثمار آتية من جزائر الهند او من بلدان اوربا وآسيا الصغرى. وقد حسب

(١) اخبرنا كثيرون من الشيوخ انهُ لم يكن احد يأكل الطماطم في بلاد الشام منذ خمسين سنة ورأينا نحن اهالي جبال النصيرية منذ ٢٢ سنة لا يطبخون الطماطم الاَّ خضراء

بعضهم ثمن الفاكهة الواردة الى بلاد الانكليز سنة ١٨٤٥ فكان نحو ٨٨٧ الف جنيه وسنة ١٨٦٥ نحو ثلاثة ملايين و١٨٦ الف جنيه وسنة ١٨٨٥ نحو سبعة ملايين و٥٨٧ الف جنيه حتّى لقد يظن ان سهولة النقل بالسفن البخاريّة وسهولة تيبيس الفاكهة وحفظها في الصناديق المعدنيّة قد يغنيان عن التفتيش عن اثمار جديدة ولكن الباب لم يزل مفتوحاً لاجادة انواع الفاكهة المعروفة

والظاهر من مقابلة الفاكهة المعروفة الآن بما كان من نوعها في العصور السالفة انها قد تغيّرت تغيّراً يذكر في جرمها وطعمها ولم يزل الباب مفتوحاً لزيادة جرمها وتكثير اصنافها التي لا بزر فيها او القليلة البزر فانهُ ما من شيء يحول دون جعل العنب بلا عجم حتّى يصير مثل القشمش من هذا القبيل وتصغير نوى التمر او اعدامهِ تماماً وذلك بزرعهِ من فسائل النباتات التي ظهر فيها هذا الميل كما حدث في الموز والاناناس . وفي البلدان الاستوائية وبلاد يابان انواع كثيرة من الفاكهة الكثيرة الحمل اللذيذة الطعم ولا بدّ من ان يلتفت اليها اصحاب الجنائن ايضاً فتكثر بذلك انواع الفاكهة (ستأتي البقية)

مقابلة رخص الاسعار

اهم مسألة اشغلت افكار الفلاّح المصري في هذه الايام مسألة رخص ثمن القطن وهي المسألة التي تشغل افكار ارباب الزراعة في كل المسكونة . فان الفلاّح يبذل جهدهُ في ري الارض وحرثها وزرعها وخدمتها وجمع الغلة مقدّراً ربحهُ منها فيفاجئهُ رخص السعر ويذهب بربحهِ كلهِ وقد يخسر جانباً من رأس المال . ومن العبث حث المزارعين على التحكّم في مقدار المزروع لكي تبقى الغلة على قدر المطلوب فانهُ اذا اجابك زيد لم يجبك عمرو ولا بدّ من ان كل فلاّح يبذل جهدهُ ليستغلّ من ارضهِ كل ما يمكنهُ استغلالهُ منها واذا سمعتهُ يلوم مَن يكثر من زرع القطن مثلاً فهو انما يلوم غيرهُ لا نفسهُ ويود ان كل احد يقلل زراعة القطن ما امكن ليستأثر هو بالربح وحدهُ

ومن المحقق ان الفلاح لا يمكنهُ ان يتحكم باسعار حاصلات ارضهِ ولاسيّما اذا كانت ممّا يباع في البلدان الاخرى لان الاسعار تتوقف حينئذٍ على غلة المسكونة كلها وعلى المحتكر من السنين الماضية وعلى زيادة الطلب وقلّتهِ . وهناك سبب آخر لزيادة رخص الاسعار في هذه الايام وهو رخص اجرة النقل برّاً وبحراً فان اتقان الآلات البخاريّة قد رخص اجرة نقل الحاصلات الاميركية مثلاً رخصاً لا مثيل لهُ في تاريخ التجارة ومعلوم ان التجار يضيفون اجرة النقل الى ثمن البضاعة فاذا رخصت اجرة النقل اضطرتهم المناظرة ان يرخصوا البضاعة

ايضًا . فلا سبيل للفلاح الاَّ ان يستخدم كل الوسائط لتكثير غلة ارضهِ وتقليل نفقتها فاذا كان قنطار القطن يكلفهُ الى دفع جنيه في السنة وجب عليهِ ان يستخدم كل الوسائط العلمية والزراعية الجديدة لكي لا يكلفهُ الاَّ خمسين او ستين غرشًا فيقابل رخص الاسعار بقلة النفقات فيبقى ربحهُ على حالهِ

فوائد في تربية الفراخ

لا بدَّ للفراخ من الطعام الحيواني اذا اريد ان تبيض دائمًا . وهي اذا كانت مطلقة في الحقول تفتش عن الجنادب والديدان وتأكلها واما اذا كانت في قفص او نحوهِ فلا تصل الى شيء من ذلك وكذا اذا اشتدَّ البرد وقلَّ ظهور الحشرات . وفي الحالين يجب ان تطعم كل ما يمكن اطعامها اياهُ من فضلات اللحم ومن الحيوانات التي ماتت من الضعف والكبر لا من الامراض

زبل الفراخ اثمن انواع السماد وبقاؤهُ في بيوتها مضرٌّ بها فيجب اخراجهُ منها يوميًّا واضافتهُ الى المخمر . ويفرش في بيوتها تراب ويغيَّر هذا التراب مرةً كل اسبوع ويبدل بتراب جديد ويضاف التراب القديم الى المخمر

الكرنب (الملفوف) كثير عند اكثر الفلاحين ورخيص الثمن واوراقهُ الخارجيَّة لا ثمن لها . وهي اذا رُبطت بخيط وعُلِّقت حيث يمكن ان تصل الفراخ اليها اذا رفعت رأسها او وثبت قليلاً رأت فيها غذاء وفاكهة فتأكلها كلها وتمرّن ابدانها في الوثب عليها

الماء النقي ضروري للفراخ فيجب ان يصب لها مرتين في النهار . ولا بدَّ من غسل الاناء الذي تشرب منهُ كل مرة

الملح للمواشي

يقال ان الملاَّحات القديمة لا تخلو جوانبها من عظام المواشي البريَّة والعظام كثيرة دلالة على ان المواشي كانت تجتمع هناك لسبب غير عادي وتموت بسبب غير عادي والاَّ للزم ان لا تكون هناك اكثر مما هي في مكان آخر . وقد عُرِف لدى امعان النظر ان المواشي البريَّة تقصد الاماكن التي فيها ملح لانها تحتاجهُ بالطبع فتترصدها الضواري هناك وتفتك بها وتطرح عظامها . وهذا الميل الفطري في المواشي للملح يدعوها الى ان تخاطر بحياتها في طلبهِ . وقد وجد الذين يعتنون بتربية المواشي ان الملح لازم لها وانهُ يجب ان يوضع بجانب معلفها قَدَرٌ كافٍ منهُ لتأكل منهُ قدر ما تريد فتجود صحتها ويغزر لبنها

نظافة الزبدة والجبن

اكثر الاطعمة تؤكل بعد طبخها فتطهرها النار مما يمكن ان يلصق بها من الاوساخ والادران ومن جراثيم البكتيريا والامراض الا الزبدة والجبن فانهما يؤكلان بلا طبخ ولا شيء فينتظر ان يكونا نظيفان الى الغاية القوى . ومن البليَّة ان باعة الزبدة والجبن اوسخ الناس ومعاملها اوسخ المعامل وآنيتها اوسخ الآنية فترى النساء اللواتي يبعنَ الجبن البلدي لابسات اقذر الثياب وواضعات الجبن في اقذر الآنية ملفوفًا بخرق قذرة تأبى ان تمسها بيدك

وقد يُظَن ان مضرَّة عدم النظافة تتوقف على ان الذوق يعاف ذلك وانهُ ليس هناك مضرَّة طبيَّة . وليس الامر كذلك بل قد ثبت علميًا انهُ يتولّد من الجبن الفاسد والزبدة الفاسدة مواد سامَّة اذا دخلت البدن فعلت بهِ فعل السم والى ذلك ينسب اكثر فعل الجبن السام لا الى الآنية النحاسية التي يصنع فيها . وهذه السموم الخفية التي تدخل البدن مع الطعام لا تفعل بهِ فعلها الذريع دائمًا ولو كانت تفعل دائمًا لانتبه الانسان اليها من قديم الزمان واكتشف مصدرها وتجنبها ولكنَّ الضرر فيها انها سم في دسم وعدوٌّ خفي لا يفعل دائمًا فعلهُ الذريع فاذا فعل مرةً ولم يفعل أُخرى او فعل بزيد ولم يفعل بعمرو لضعف معدة ذاك وقوَّة معدة هذا لم ينسب الفعل اليهِ

فعلى آكلي الزبدة والجبن ان ينتبهوا شديد الانتباه الى نظافة ما ياكلونهُ ونظافة الآنية التي يكون فيها والايدي التي تلمسهُ عسى ينتبه مستخرجو الزبدة وصانعو الجبن الى ذلك ايضًا اذ يرون ان بضاعتهم لا تروج ولا يستعملها احد ما لم تراعَ فيها شروط النظافة تمام المراعاة

اما الجبن الاوربي الذي يلف باوراق معدنية فاذا كانت اوراقهُ هذه قصديرًا فلا ضرر منها ولكن ذلك نادر واذا كانت رصاصًا وهو الاكثر فلا تخلو من الضرر وكذا كل الاطعمة الاوربية التي تلف باوراق من الرصاص فانهُ يجب كشط القشرة المباشرة للرصاص منها قبل اكلها

زراعة الكرم في اوربا

تبلغ مساحة الارض المزروعة كرومًا في فرنسا اكثر من اربعة ملايين ونصف ومليون فدان او نحو مساحة اراضي القطر المصري الزراعية وكانت قيمة الخمر الحاصلة منها سنة ١٨٩٠ مئة واربعة وسبعين مليون جنيه وتبلغ مساحة الكروم في اسبانيا اربعة ملايين وربع مليون فدان وقد بلغت غلتها في العام الماضي ستمئة وثمانية ملايين جالون وقد بلغت غلة

الكروم في ايطاليا ٦١٢ مليون جالون واما غلة الكروم في فرنسا فلا تزيد على ستمئة وخمسة ملايين جالون فهي الثالثة بالنسبة الى مقدار الخمر ولكنها الاولى بالنسبة الى ثمنهِ

تعليم الزراعة في فرنسا

اتفق وزير المعارف ووزير الزراعة في فرنسا على بذل الجهد لنشر التعليم الزراعي في كل بلاد فرنسا فجعل وزير المعارف تعليم الزراعة فرضًا لازمًا على كل مدرّس يرغب في التدريس في المدارس العالية التي في الولايات الزراعية ومعلوم انهُ يصعب على فرنسا او غيرها من البلدان ان تقدّم العدد الكافي من المدرسين العارفين بعلم الزراعة ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ ولا بدَّ من ان تجني فرنسا من هذا النظام الجديد فوائد مالية وادبية لا تقدَّر

وحبذا لو اقتدت بها الحكومة المصريَّة فاكثرت عدد التلامذة في المدرسة الزراعية واختارت النابغين منهم لتعليم مبادىء العلوم الزراعية في المدارس الكبرى في طنطا والمنصورة ونحوها فان العلوم الزراعية ضروريَّة لتقدم هذا القطر لا لان الفلاح المصري لا يعلم كيف يحرث ارضهُ ويرويها ويزرعها بل لانهُ تنقصهُ امور كثيرة في التدبير الزراعي وتربية المواشي ومعالجة الآفات واستخراج كل ما يمكن استخراجهُ من الارض باقل ما يكون من النفقة

الكتان المصري

مَن يدخل دار التحف في الجيزة يعجب من قطع الكتان التي فيهِ فانها صبرت على البلى الوفًا من السنين ولم تزل متينة على دقة نسجها . ويقال ان المصريين القدماء كانوا امهر الناس في زرع الكتان وغزلهِ ونسجهِ ولم يفقهم في ذلك احد قبلهم ولا بعدهم . والارجح ان ترك هذه الزراعة ليس عن اهمال بل لان الفلاح وجد بالاختبار ان زرع القطن اربح من زرع الكتان

سكَّان اللبن

يتولَّد في السنتيمتر المكعَّب من اللبن الحليب بعد حلبهِ بساعتين تسعة آلاف ميكروب ويزيد عدد الميكروبات فيهِ بعد حلبهِ باربع وعشرين ساعة حتَّى يبلغ خمسة ملايين واذا زادت الحرارة قليلاً زاد عدد هذه الميكروبات زيادة فاحشة وهي ليست مضرَّة والارجح انها نافعة للهضم

الجراد في مصر

اطلعنا على تقرير مسهب رفعهُ حضرة المستر ولاس ناظر مدرسة الزراعة التوفيقية الى

عطوفتلو مصطفى باشا فهمي ناظر الداخلية عن الجراد الذي اتى القطر المصري في العام الماضي وقد اثبت فيهِ ان حفر الاخاديد في طريق الجراد وطردهُ اليها صغيرًا وامانتهُ فيها واقامة اسوار المشمع في طريقهِ كبيرًا وطردهُ اليها وحرقها بهِ خير الطرق التي استعملت لابادتهِ وكذا جمع الجراد قبلما يبيض وقتلهُ وهذه نفس الطرق التي اشرنا بها في المقتطف والمقطم ورأينا اهالي الشام يعتمدون عليها . اما الاشراك والصفائح المعدنية فقال حضرتهُ انها لم تجدِ نفعًا

زراعة الفطر

الفطر نوعان سامٌ وغير سام . وغير السام من اكثر النباتات غذاء واطيبها طعمًا وفيهِ مواد نيتروجينيَّة مغذية كما في لحم الحيوان ومن الغريب ان ارباب الزراعة لم يهتموا حتَّى الآن بزرعهِ في هذه الديار مع ان الارض صالحة لزراعتهِ وثمنهُ غالٍ . وقد قرأنا في احدى الجرائد الزراعية ان زارعًا انكليزيًّا استغلَّ من زراعتهِ في سنة واحدة احد عشر طنًّا . والكمأة نوع من انواع الفطر وهي تنبت من نفسها في جهات دمشق الشام ولم نسمع ان فيها شيئًا سامًّا فحبذا لو اهتمَّ احد بزراعتها وقدَّر ارباحها فاننا نظنها وافرة

بابُ الصناعة

ارسال الصور الفوتوغرافية بالتلغراف

من اعجب الاختراعات الجديدة ارسال الصور الفوتوغرافية بالتلغراف الكهربائي من بلاد الى أُخرى وقد استنبطت لذلك طريقة جديدة وفت بالغرض اكثر من الطريقة القديمة ومدارها على ان الكهربائية التي تجري على سلك التلغراف تقوى وتضعف بحسب شدَّة الضغط على مفتاح التلغراف وعلى ان الصورة الفوتوغرافية التي تنقل على الجلاتين لا تكون على استواء واحد بل تكون الاجزاء المظلمة منها مرتفعة اكثر من غيرها بحسب شدَّة اسودادها فاذا وضعت هذه الصورة على اسطوانة وادبرت دورانًا حلزونيًّا تحت مفتاح التلغراف او تحت مخل متَّصل بهِ ارتفع المفتاح وانخفض بحسب ارتفاع اجزاء الصورة وانخفاضها فيتغير المجرى الكهربائي الذي يجري على سلك التلغراف بحسب ارتفاعهِ وانخفاضهِ. فاذا كانت الصورة الفوتوغرافية في مدينة القاهرة مثلاً واريد نقلها الى مدينة الاسكندرية

فيوضع غشاءٌ رقيق من شمع البارافين على اسطوانة مماثلة للاسطوانة التي وضعت عليها الصورة في القاهرة تماماً وتدار هناك دوراناً حلزونيًا كما تدار الاسطوانة في القاهرة تماماً وتتقدّم في سيرها وهي تدور كما تتقدّم هذه ويكون مفتاح التلغراف هناك متصلاً بقلم دقيق واصل الى غشاء الشمع حتّى يمر على سطحهِ كلهِ بدوران الاسطوانة فيؤثر القلم في الشمع بحسب اشتداد المجرى الكهربائي وخفتهِ اي بحسب ارتفاع دقائق الصورة وانخفاضها فترتسم على الشمع صورة مثل الصورة الفونوغرافية تماماً ويمكن طبعها بالحبر عن الشمع او صبُّ الجبسين عليها وعمل قالب منهُ لسبك الصور المعدنية التي تستعمل في الطباعة

وعليهِ فيمكن لمكاتبي الجرائد الآن ان يرسلوا رسائلهم بالتلغراف ويرسلوا معها صور مواقع القتال ونحوها مما يريدون تصويرهُ فتصل الى ادارة الجريدة بسرعة البرق

دهان للحديد

يُستعمل لدهن القطع الحديديّة المعرّضة للهواء دهانُ اكسيد الحديد الاحمر وقد يدهن الحديد بدهان آخر فوق هذا وقد يكتفى بهِ وحدهُ . ويشترط فيهِ ان لا يكون هناك شيء من الملح والّا حدث فعل كيماوي وظهرت انتفاخات في الدهان واستحال الى رصاص معدني . وقد حاول بعضهم ان يبدل اكسيد الرصاص بكبريتيد الانتيمون وهو مسحوق ناعم جدًا لا طعم لهُ ولا رائحة ولا يذوب في الماء ولا في الالكحول ولا في الزيوت الروحية . والحوامض تفعل بهِ قليلاً ويقول بعض المهندسين انهُ اذا مزج بالزيت جيدًا كان منهُ دهان لامع لا يتغير بالهواء ولا بالنور ويمزج بالاسفيداج بسهولة

وقد استُعمل اكسيد الحديد الطبيعي حديثًا بدل اكسيد الرصاص فوُجد احسن منهُ من وجوه كثيرة فانهُ اسهل مدًّا واشد صلابةً اذا جف ويحتمل الحرارة الشديدة فيصلح لدهن الآلات البخارية ونحوها

تبييض البيوت

من المعلوم ان الجير (الكلس) الذي يستعمل لتبييض البيوت يمزج بقليل من الملح لكي لا يلصق بالثياب اذا لامست الحائط والظاهر ان لذلك سببًا كيماويًا وهو ان الملح يمتص الرطوبة والحامض الكربونيك من الهواء ويقدمهُ للجير فيتحد الجير بهِ ويصير كربونات الكلس وهو حجر جامد ويقال ان احد العملة قلب اناء فيهِ ملح واراد ان يخفي الملح فكنسهُ والقاهُ في الاناء الذي فيهِ ماء الجير وكان يبيض بيتًا بهِ من خارجهِ فظهر بعد مدة ان جدار البيت الذي بيض بهذا الجير لم يرشح في فصل الشتاء ووُجد بعد الامتحان انهُ اذا

مزج كل رطل من الجير بنصف رطل من الملح فالبياض يتصلّب على الحائط و يقيهِ من الرشح

الحجر الصناعي

كانت الحجارة الصناعية تُصنَع من الرمل (او قطع الحجارة) والملاط المعروف بملاط برتلند ثم تغطّس في مذوب سلكات الصودا . ولكنّ الحجارة المصنوعة على هذه الصورة كثيرة المسام والخلايا الهوائية وغير متينة . وقد استنبطت الآن طريقة جديدة لذلك وهي ان يمزج جزءان من الرمل الخشن او كسر الحجارة الصلبة وجزء من ملاط برتلند وما يكفي من الماء و يوضع المزيج في القوالب و يضغط بالمضغط المائي ضغطًا شديدًا فتخرج منهُ حجارة صلبة قليلة المسام تشبه اصلب الحجارة الطبيعية و يمكن استعمالها في بناء البيوت وتبليط الشوارع و بناء الاسوار والحصون والمرافئ.

منع الدخان

لقد حاول كثيرون من المهندسين والمخترعين ايجاد واسطة لمنع الدخان الكثيف الذي يتصاعد من المعامل الكبيرة وحرق ما فيهِ من دقائق الفحم وجمع ما فيهِ من الكبريت واستنبطوا لذلك اساليب كثيرة ولكنها لم تفِ بالغرض تمامًا

وقد لاحظ بعضهم ان المطر ينقّي الهواء من الدخان وبخار الكبريت الذي يصعد معهُ فادخل في المدخنة اناء فيهِ ثقوب دقيقة يخرج الماء منها نقطًا دقيقة جدًّا فيجتمع هناك كل ما في الدخان من السناج والكبريت

معمل المساويك

صنعت المساويك من ريش الاوز في فرنسا اولاً واكبر معمل لها الآن بقرب باريس يصنع فيهِ في السنة عشرون مليون مسواك وكان يصنع الريش اقلامًا للكتابة فلما ابطل الاوربيون الكتابة بالريش صار المعمل يصنعهُ مساويك

تلوين المعادن

اللون الازرق على الحديد (او الصلب) * اصقل الحديد ونظفهُ جيدًا بالجير (الكلس) ثم ادهنهُ بالمزيج الآتي وهو ثمانية اجزاء من زبدة الانتيمون وثمانية من الحامض النيتريك المدخن و ١٦ جزءا من الحامض المريانيك واضف الحامض المريانيك قليلاً قليلاً بتأنٍ لكي لا يحمى المزيج كثيرًا وغط خرقةً بهذا المزيج وادهن الحديد بها بعود من السنديان الاخضر الى ان يظهر اللون المطلوب على الحديد

اللون الرمادي * اصقل الحديد ونظفهُ جيدًا وامزج ثمانية اجزاء من زبدة الانتيمون وجزئين من الحامض الكبريتيك وادهن الحديد بهِ فان لم يصر لونهُ رماديًّا حسب المطلوب فاضف الى المزيج نقطًا قليلة من الحامض العفصيك

اللون الاسود * امزج ثمانية اجزاء من زبدة الانتيمون واربعة من الحامض الكبريتيك وجزئين من الحامض العفصيك وادهن الحديد بهذا المزيج مرارًا كثيرة الى ان يسود

باب الهدايا والتقاريظ

تاريخ الانشقاق

تأليف الارشمندريتي جراسيموس مسرَّة اللاذقي رئيس كنيسة السور يين الارثوذكس في الاسكندرية

حبذا لو كان موضوع هذا الكتاب تاريخ الاتفاق ولكن الانشقاق واقع بين الكنائس المسيحيَّة اردنا ام لم نَرِد والوقوف على تاريخهِ لازم لمَن يدرس طباع البشر ويطلب الوقوف على اسباب ما براهُ من تشعُّب المذاهب . وقد يظَن لاوَّل وهلة انهُ يتعذَّر على ابن احدى الطوائف المسيحيَّة ان يؤلّف تاريخًا في هذا الموضوع خاليًا من الغرض ولاسيَّما اذا كان من خَدَمة الدين لا لانهم اقل حرصًا من غيرهم على تقرير الحقائق بل لان الغرض يحرف احكام الانسان من حيث لا يدري والغرض الديني اشد تأثيرًا في النفس من كل الاغراض . والطباع اشد انقيادًا اليهِ منها الى غيرهِ . ولذلك تردَّدنا في اول الامر بين ان ننظر في هذا الكتاب او نضمهُ الى غيرهِ من الكتب التي لا تمكننا اشغالنا من مطالعتها . ولما كانت مسأَلة الاختلاف على رئاسة الحبر الروماني من اعظم المسائل المختلف فيها طالعنا بعض ما يتعلَّق بها فوجدنا ان المؤلف يذكر ما يوافق مذهبهُ وما يخالفهُ على حدٍّ سوى حتَّى خيّل لنا في اول الامر ان رئاسة الحبر الروماني كانت مرعية من ايام المجمع الرابع الخليكدوني الذي التأم سنة ٤٥١ فقد كان فيهِ نواب البابا جالسين فوق البطريرك القسطنطيني وحينما افتتح المجمع قام نواب البابا وقالوا « ان اسقف مدينة الرومانيين الرسولي الجزيل الغبطة الذي هو رأس جميع الكنائس اعطانا اوامر امرنا فيها ان نخاطبكم بان لا يجلس معنا في المجمع ديوسقورس رئيس اساقفة الاسكندريَّة »

ثم لما اراد المجمع ان يحكم على ديوسقورس طلب اعضاؤُهُ من نائب البابا ان ينطق بالحكم

عليهِ فنطق بهِ بالنيابة عن البابا « رئيس الاساقفة » وقام بعدهُ رئيس اساقفة القسطنطينية فقال انني اعتقد في كل شيء مثل الكرسي الرسولي وأوافق على قطع ديوسقورس . الى غير ذلك ممَّا يستدلُّ منهُ على رئاسة الحبر الروماني . الَّا ان المؤلف لم يترك هذه الامور بلا تعليل مقبول بل علّلها في الصفحة ٢٥٠ وما بعدها تعليلاً لا يسع المنصف الآن يقر بأنهُ مقبول وافٍ بالغرض وحجة المؤلف فيهِ قويَّة لا ندري كيف يردُّها اضدادهُ . ويتصل البحث في هذا الكتاب من القرن الاول المسيحي الى آخر القرن التاسع . فعلى كل من بحث موقوف على اسباب الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية ان يطالعهُ بالامعان ويطالع ما يقولهُ الغربيون ايضًا ويحكم لنفسهِ . واننا نشكر حضرة المؤلف الفاضل على ما بذلهُ من الهمة في تأليف هذا الكتاب وطبعهِ ونتمنى ان تزول كل اسباب الخلاف ولا يبقى لها ذكر الَّا في كتب التاريخ

كتاب صحة العين

تأليف جناب الدكتور شاكر خوري مدرس الاكلينيك العيني والجراحة الصغرى والاربطة في مدرسة الجزويت الطبية في بيروت

للمؤلف كتاب آخر مشهور اسمهُ تحفة الراغب في صحة المتزوج والعازب جرى فيهِ مجرى المؤلفين الفرنسويين ذاكرًا الفوائد الصحية بصراحة ولو كانت ممَّا يتحاشى ذكرهُ عادةً في الكتب العمومية . وهذا الكتاب مفيد في بابهِ مثل ذاك وقد ذكر فيهِ مؤلفهُ كل ما يتعلق بالعين وصحتها ولم يقتصر على البحث العلمي بل اضاف اليهِ نكتًا كثيرة والحقهُ بفصول ادبية في معاني العين والتغزُّل بها

والمطّلع على هذا الكتاب يرى فيهِ فوائد كثيرة في صحة عيون الشبان والشيوخ وتأثُّر العين بالغذاء والاشربة الروحية والمكيفات والاقليم والمسكن والفصول والضوء والرياضة والصنائع وكلامًا مسهبًا على العوينات وطول البصر وقصرهِ . ويرى فيهِ ايضًا قضايا كثيرة يودُّ لو كانت مؤيدة بسند علمي كقولهِ في الصفحة العاشرة ان الحيوانات المحرَّمة في الشريعة الموسويَّة لم تحرَّم الَّا لان لحمها عسر الهضم وقولهِ ان النصارى منعوا اكل اللحم يومين في الاسبوع لانهم وجدوا ان اكل اللحم يوميًّا يقلل شهيَّة الاكل وقولهِ في الصفحة الخامسة والتسعين ان العقل فعل من افعال الدماغ . هذا واننا نثني على حضرة المؤلف ثناءً جميلاً على هذا الكتاب المفيد

مسائل واجوبتها

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) بني سويف . سليم افندي يزبك . اراد احد الوجهاء حفر بئر لبناء ساقية (ناعورة) فلم يهتدِ الى الماء مع انهُ حفر كثيرًا فأشار عليهِ احد الفلاّحين امامي ان يأتي نهار الاحد قبل طلوع الشمس ويرسم على الارض التي يريدها رسم دائرة ثم يحفر البئر في اليوم التالي على رسم الدائرة ففعل فظهر الماء وبنيت الساقية فما السرُّ في ذلك

ج ما من علاقة بين رسم الدائرة ووجود الماء · وقلما يخلو مكان في القطر المصري من الماء اذا حفر فيهِ القدر الكافي . والظاهر ان هذا الوجيه حفر في المرّة الثانية اكثر مما حفر في الاولى او كان النيل مرتفعاً في المرّة الثانية اكثر مما كان مرتفعاً في الاولى او اتفق ان المكان الذي حفر فيهِ في المرّة الاولى كان محاطًا بشيء يمنع وصول ماء النيل اليهِ تحت الارض

(٢) ومنهُ وجدت كثيرين يلتقطون قشور البيض والرمان فما هي منفعة هذه القشور

ج اما قشور البيض فيصنع منها مسحوق ناعم تتبيض بهِ بعض النساء واما قشور الرمان فتستعمل في الصباغة

(٣) ومنهُ كيف مات غمبتا الشهير

ج مات على اثر رصاصة اصابتهُ في يدهِ والمظنون ان عشيقتهُ اطلقتها عليهِ

(٤) اسيوط · محمّد افندي طلعت · هل ما هو مسطور في كتاب حياة الحيوان من الامور الغريبة صحيح

ج اذا اردتم كتاب الدميري والقزويني ففيهما خرافات كثيرة لا صحة لها

(٥) مصر · بشاي افندي بقطر · كيف تتلوّن مياه فساقي حلوان الكهربائية

ج يقع عليها النور الكهربائي بعد ان يمرّ في زجاج ملوّن فيتلوّن بلونهِ ويلونها بهِ

(٦) مصر · نيروز افندي خليل · أَحقيقي ان عمر الانسان محدود

ج للعلماء في ذلك مذهبان الاوّل ان الانسان حرٌّ مختار فيعمّر اذا اراد ويستعمل الوسائط التي تطيل العمر كالعفة والصحو والاعتدال وجميع الوسائط الصحية او يستعمل الوسائط التي تقصر عمرهُ كركوب المخاطر والانهماك بالملذات والشبق والسكر وما

اشبه . والثاني انهُ غير حرّ فتفعل بهِ الاحوال الطبيعية قسرًا حتّى انهُ اذا صمَّم على الانتحار فتصميمهُ هذا نتيجة تلك الفواعل الطبيعية واذا انتحر فليس انتحارهُ بارادتهِ ولا كان قادرًا ان يمنعهُ . والعمر بموجب المذهب الاول غير محدود بل يمكن اطالتهُ وتقصيرهُ وبموجب الثاني محدود لا يمكن اطالتهُ ولا تقصيرهُ بل هو نتيجة لازمة عن الفواعل الطبيعية كما ان جواب المسألة الجبريَّة نتيجة لازمة عما يجري فيها من الجمع والضرب والقسمة . ومن الغريب ان الذين يجنحون ان لكل انسان عمرًا محدودًا يؤيدون مذهب عدم حريَّة الارادة وهم لا يدرون

(٧) ومنهُ كيف يعرف ذكر السلحفاة من انثاها

ج يعرف الذكر من الظاهر بتحدُّب صدرهِ ومن الباطن بآلات التناسل

(٨) ومنهُ كيف تتناسل السلاحف

ج تبيض بيضًا كالطيور ويختلف عدد بيضها ومدة حضانتهِ باختلاف انواعها حتّى ان بعضهُ يبقى سنة قبل ان يفرخ

(٩) الفيوم . اسكندر افندي صعب . لاي سبب كان المصريون القدماء يحنطون موتاهم

ج . المشهور انهم كانوا يحنطونهم لغاية دينية وهي حفظ الجسد من البلى لتزورهُ الروح بعد خروجها منهُ

(١٠) دمشق . . . . جاء في اخبار الاقدمين انهم كانوا يعيشون مآت من السنين فما المراد بالسنة حينئذٍ هل المراد بها الشهر القمري كما ظنهُ البعض ومنهم ابو العلاء المعري حيث قال

وادَّعوا للمعمرين امورًا
لستُ ادري ما هنَّ في المشهورِ
انراهم في ما تقضّى من الايا
م عدوا سنيهم بالشهور
كلما لاح للعيون هلالٌ
كان حولاً لديهم في الدهور

ام المراد بها سنة مثل سنينا او ما يقرب منها فان كان الاوَّل يرد عليهِ ان بعض اولئك المعمرين قد صاروا جدودًا قبل ان بلغوا الحلم بمقتضى هذا الحساب فان آدم ولد شيئًا لما كان عمرهُ مئة وثلثين سنة وولد لشيث انوش لما كان عمرهُ مئة وخمس سنين فاذا حسبنا السنة شهرًا كان عمر آدم عشر سنوات وعشرة اشهر لما صار ابًا لشيث و١٩ سنة وسبعة اشهر لما صار جدًا لانوش وان كان الثاني فلمَ لا نعمّر مثلهم ونوع الانسان آخذ بالارتقاء لا بالانحطاط

ج ذهب اكثر المفسرين الى ان السنين كانت عادية مثل سنينا وذهب البعض الى انها كانت فصولاً من فصول السنة فالف سنة هي الف فصل اي مئتان وخمسون سنة . الاَّ ان البعض من علماء التفسير

المحدثين زعموا ان الاصحاحات الاولى من سفر التكوين منقولة عن احاديث اشورية وبابلية قديمة ولا يعتمد على الارقام المذكورة فيها ولهم في ذلك مباحث طويلة . اما ارتقاء نوع الانسان الآن فلا يلزم عنهُ ان اسلافنا الاولين لم يكونوا اطول عمرًا منَّا لاننا لا نعلم كل الاحوال التي كان جسم الانسان خاضعًا لها حينئذٍ

(١١) بلبيس . عبد العزيز افندي احمد البطريق . يقال ان العقبان تتزاوج من بنات آوى فهل ذلك صحيح

ج . كلاَّ

(١٢) ومنهُ . هل من سبيل لمنع تسويس الغلال

ج . خزنها في مخازن جافَّة تمامًا وتنظيف المخازن كل سنة ممَّا يبقى فيها من السنة الماضية . والسوس فراش صغير يبيض على حبوب القمح فيخرج السوس من بيضهِ دودًا صغيرًا يثقب الحبوب ويأكل باطنها ويصير فيها حشرات سوداء مجنحة فاذا انتبهتم اليهِ جيدًا امكن منعهُ من دخول المخازن

(١٣) كيف تصوَّر الصور الفونوغرافية

ج . لذلك آلات ومواد كيماويَّة خاصَّة مدارها على انهُ اذا وقع النور على شبح امام غرفة مظلمة وانعكس عنهُ ودخل الغرفة المظلمة من ثقب صغير فيها رسم داخل الغرفة صورة مقلوبة لذلك الشبح فاذا وقعت هذه الصورة على لوح مدهون ببعض المواد الكيماويَّة أثَّرت فيها تأثيرًا كيماويًّا بحسب ما فيها من النور وتفصيل ذلك لا يحتملهُ باب المسائل ولكننا افردنا لهُ فصولاً طويلة في المجلد السابع من المقتطف

(١٤) اصوان . احد المشتركين . قرأنا في الجرائد الاوربية ان في بلاد الانكليز شركة تستعمل الكهربائية لشفاء الامراض فما هي علاقة الكهربائيَّة بالامراض وما هو رأيكم في ذلك

ج قد استُعملت الكهربائية في علاج بعض الامراض العصبية وعمل بعض العمليَّات الجراحية اما علاقتها بالامراض العصبية فغامضة وقد لا يكون فعلها اكثر من هزّ دقائق الاعصاب فتردُّها الى وضعها الطبيعي بعد انحرافها عنهُ واما العمليات الجراحيَّة فتستعمل للكي ونحوهِ باجراء الكهربائية على سلك معدني دقيق فيحمى بمقاومتهِ للمجرى الكهربائي

(١٥) الاسكندريَّة . (ن) كم كيلومتر في السكة الحديد المصريَّة وكم محطة وكم مسافر يسافر بها في السنة

ج طولها ٩٦٠ كيلومترًا وفيها ١٥٧ محطة وقد سافر بها في العام الماضي اربعة ملايين و٦٩٦ الفًا و٢٨٦ راكبًا

اخبار واكتشافات واختراعات

اكتشاف غريب

كان بعض الاميركيين ينقب في اكمة من الآكام الصناعيَّة القديمة التي في تلك البلاد فوجد في منتصفها جثَّة رجل مغطاة بالنحاس فعلى الرأس خوذة من النحاس وعلى الفكين مغفر من النحاس ايضًا وعلى اليدين اكمام من النحاس وكذا الصدر والبطن والخاصرتان مغطاة كلها بصفائح النحاس والفم محشوٌّ باللؤلؤ الكبير الحجم وحول العنق عقد من اسنان الدببة مرصع باللؤلؤ ايضًا وبجانبها جثة امرأة وقد بلي اللحم عن الجثتين ولم يبقَ منها الاَّ العظام

تغيير الغرائز

كتب بعضهم من تشقند الى جريدة ناتشر الانكليزيَّة يقول انهُ أُهدي اليهِ طائر من غرائزهِ انهُ يخفي ما فضل من طعامهِ في الارض ليستخرجهُ منها حين الحاجة اليهِ فوضعهُ في قفص مُقام على ارض رمليَّة فجعل يخفي الطعام في الارض ثم كفَّ عن ذلك بعد يومين لانهُ وجد الطعام كثيرًا ميسورًا

الاكسجين والمغنطيس

وضع الاستاذ دِيور الطبيعي مقدارًا من الاكسجين السائل في اناء من الملح ووضع الاناء بين قطبي مغنطيس فراداي فللحال وثب الاكسجين السائل ووقف على القطبين وبقي عليهما الى ان استحال كلهُ غازًا

منبع النيل

اكتشف امين باشا والدكتور ستهلمن نهرًا صغيرًا على اربع درجات من العرض الجنوبي يصب في بحيرة البرت ادورد وادَّعيا انهُ منبع النيل الاصلي

التعليم في اميركا

بلغ عدد التلامذة في مدارس الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩٠ اثني عشر مليونًا و٦٨٧ الفًا وعدد الحضور منهم في المدارس يوميًا ثمانية ملايين و١٤٥ الفًا وعدد المعلمين ١٢٥ الفًا و٦٠٣ وعدد المعلمات ٢٣٣ الفًا و٣٣٢ ومقدار المال الذي انفقتهُ الحكومة على هذه المدارس تلك السنة اكثر من ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات المصريَّة فاذا فرضنا ان عدد اهالي الولايات المتحدة عشرة اضعاف اهالي القطر المصري لزم الحكومة المصريَّة ان تنفق على المعارف كل سنة مليونين وثمانمئة الف جنيه لكي تجاري الولايات المتحدة في تعميم المعارف

وصف زلزلة يابان

كتب المستر جون ملن من مدينة توكيو بيابان الى جريدة ناتشر الانكليزيَّة

في السابع من نوفمبر ما خلاصتهُ

نهضتُ في الثامن والعشرين من شهر اكتوبر الساعة السادسة والدقيقة الثامنة والثلاثين صباحًا وانا اشعر كأن الارض تحيد بي ولم اسمع صوتًا غير عاديّ حينئذٍ بل شعرت بدوار وجشاء من جراء حركة الارض . ويستدل من السموغراف ان هذه الحركة دامت من عشر دقائق الى اثنتي عشرة دقيقة . وقد علم الى هذا التاريخ ان عدد الذين قتلوا بهذه الزلزلة ثمانية آلاف وعدد البيوت التي خربت تمامًا واحدٌ واربعون الفًا . وقد خربت معامل غزل القطن ونسجهِ وانقصفت مداخنها من وسطها وانقصفت ايضًا عمد الحديد التي عليها جسور سكة الحديد وتلوّت خطوط سكك الحديد كانها الافاعي وتشققت الارض في سهل اوكازاكي جفو وانبعث منها الماء والطين وتلفت شواطئ الانهر . واما القلاع التي في اوكازاكي وناغويا فبقيت سالمةً لانها هرمية الشكل ولان حولها خنادق . وسلمت ايضًا بعض الهياكل لجودة بنائها ولان بين سقوفها ودعائمها اخلية فصارت بذلك مرنةً ولم يضغط السقف بارتجاجهِ على الدعائم . ولم يكن فعل الزلزلة شديدًا على التلال كما على السهول المجاورة لها

ولا تزال الزلازل تتوالى علينا ويسبق كل زلزلة صوت شديد كصوت المدفع . والاهلون يهربون الى وسط الشوارع حينما يسمعون الصوت لانهم يعلمون ما وراءهُ ولكنهم لا يجزعون جزَع الاوربيين بل يسلمون للاقدار ويتقون الضرر بقدر طاقتهم

اسباب الصلع وعلاجهُ

ذكر الدكتور نسون ان اسباب الصلع تغطية الراس والشغل العقلي الزائد والهم الشديد والافراط في الاشربة الروحية والاكثار من غسل الراس وعدم استعمال الادهان والوراثة . واشار بكشف الرأس ما امكن وتقليل الاشغال العقلية وطرد الهموم والاكتفاء بغسل الرأس مرةً في الاسبوع ودهن الشعر بزيت من الزيتون . واذا ابتدأ الشعر بالسقوط يضاف الى الزيت قليل من ماء النشادر وصبغة الزراح . اما الوراثة فلا دواء لها

خسارتان علميتان

خسر العلم والعلماء خسارة عظيمة بموت امبراطور برازيل ودوق ديفونشير وسنأتي على ترجمة هذين الشهيرين من باب علمي في بعض الاجزاء التالية

تصليب الجبسين (المصيص)

اكتشف بعضهم طريقة جديدة لتصليب الجبسين وعرَضها على اكادمية العلوم الفرنسويَّة وهي ان يضاف الى الجبسين سدسهُ وزنًا من الجير (الكلس) الذي اطفئ حديثًا وقليلٌ من الماء وحينما يجف يعالج

بمذوّب كبريتات الزنك او كبريتات الحديد فاذا عولج بالمذوّب الاول بقي ابيض واذا عولج بالثاني صار لونهُ مثل لون صدإ الحديد

لحم الحيوانات المسمومة

وُجد بالامتحان ان لحم الحيوانات التي تقتل بسم الستركنين او طرطرات الانتيمون لا يكون سامًّا فيمكن اكلهُ ولا يضرُّ بآكلهِ ويقال ان البرابرة يأكلون لحوم الحيوانات التي يقتلونها بسهامهم السامّة ولا تضربهم

الحرير والايثير

قيل انهُ اذا أُغلي الحرير في الايثير صار الايثير حامضًا وزاد ثقل الحرير وبقي ثقيلاً ولو جُفّف كثيرًا

المدوزالين

المدوزالين نوع جديد من البلاط الصناعي استُنبط باميركا لرصف طرق المعرض وهو رخيص الثمن يصنع المتر المربع منهُ بنحو اثني عشر غرشًا ويقال انهُ امتن من البلاط

العامة والحقائق العلمية

عرف عامّة الناس كثيرًا من الحقائق الطبيعيّة قبلما عرفها العلماء وعدوها بين الحقائق العلميّة مثال ذلك انتقال لقاح الاشجار بالهواء من مكان الى آخر فقد طالما سمعنا عامّة الفلاّحين في بلاد الشام يقولون ان الصنوبر الذي ينمو في بعض جهات الجبل يتلقح من الارز او الصنوبر الذي ينبت في جهات أُخرى مقابلةً لهُ بواسطة الرياح . وهذا الامر كان معروفًا عند القدماء قبلما اثبته العلماء اليهِ وقس على ذلك امورًا كثيرةً ينتبهُ اليها العامّة قبل ان يحققها الخاصّة

النظارة الكبرى

اخذ الاميركيون يصنعون نظارة لمعرضهم المقبل وستكون اكبر نظارات المسكونة

ورق الحديد

رقّق بعضهم الحديد حتّى صار سمك الورقة منهُ جزءًا من الف وثمانيئة جزء من العقدة اي يمكن ان يصنع كتاب منهُ فيهِ ٢٦٠٠ صفحة ولا يكون سمكهُ اكثر من عقدة ويمكن الكتابة على هذا الورق بسهولة

نور ولا نار

ضع قطعةً من الفصفور قدر الحمصة في قنينة وصب عليها زيتًا نقيًّا الى ثلث القنينة ويجب ان يكون الزيت سخنًا الى درجة غليان الماء ثم سدَّ القنينة جيدًا فاذا اردت نورًا خفيفًا ترى بهِ ساعتك في ظلمة الليل فافتح القنينة حتّى يدخلها الهواء ثم سدَّها فيمتلئ الفراغ الذي فوق الزيت بنور يريك الساعة بل يريك طريقك في حالك الظلام . وحرّاس مخازن البارود في باريس يستعملون هذه الطريقة للاستصباح ولا بدَّ من الاعتناء وقت وضع الفصفور في القنينة

لكي لا يلمس باليد لئلاَّ يشتعل ويحرق الاصابع

وفاة كريمة

نعت الينا اخبار طرابلس الشام وفاة كريمة قومها المرحومة انجلينا صدقة زوجة الوجيه الياس افندي قمر وهي من اللواتي درسن في مدرسة بيروت الاميركية وعكفن على مطالعة المُقتطف ونحوهِ من الكتب العلمية والادبية استعدادًا لافادة بنات نوعهنَّ بمعارفهنَّ واثبتنَ ان الاهتمام بشؤون المنزل وتربية الاطفال لا يمنع من اجتناء ثمار المعارف . عزَّى الله آلها عن فقدها والهمهم صبرًا جميلاً

اتقان التليفون

لما استنبط التليفون وثبت انهُ ينقل الكلام واضحًا من مكان الى آخر ادَّعى اصحابهُ انهُ يمكن نقل النطق بهِ مهما كانت المسافة ثم وجد لدى الامتحان انهُ اذا طالت المسافة ضعف الصوت كثيرًا حتَّى لم يعد يُسمع فاستُعمل اولاً على مسافات قصيرة لا تزيد على مئة ميل ومن ثم اخذ المخترعون يزيدون اتقانهُ حتَّى صار يمكن التكلم بهِ على بضع مئات من الاميال . وقد زاد اتقانهُ الآن في اميركا فنُقل الكلام بهِ واضحًا مسافة ٨٤٠ ميلاً والمظنون انهُ يمكن نقل الكلام بهِ مسافة عشرة آلاف ميل وهي غاية ما كان العلماء يقدرونهُ لهُ عند اول استنباطهِ

الحرُّ في القاهرة

بلغ الحرُّ اشدَّهُ في مدينة مصر القاهرة في الاحدى والعشرين سنة الماضية في اوغسطس سنة ١٨٨١ فقد كان حينئذٍ ١١٧ درجة بميزان فارنهيت وبلغ البرد اشدَّهُ في شهر فبراير سنة ١٨٨٠ فان الترمومتر هبط حينئذٍ الى ٢٨ درجة واربعة اعشار وبلغ مقدار المطر الذي وقع سنة ١٨٨٧ ثمانية اعشار العقدة وسنة ١٨٨٨ عقدةً وستة اعشار

بلاد بامير

اكثرت الجرائد السياسية من ذكر بامير التي يتناظر الروس والانكليز عليها وهي جبال قاحلة متوسط ارتفاعها اثنا عشر الف قدم وطولها مئتا ميل وعرضها من ١٥٠ الى ١٣٠ ميلاً شتاؤُها طويل وصيفها قصير وبردها شديد لا طعام فيها ولا مرعى ولا يسكنها غير الغنم البرية وبعض القبائل الرحل التي نزلها في بعض شهور الصيف اذا مرَّت فيها قوافل التجار اضطرَّت ان تتزود زادًا يكفيها الطريق كلهُ والاَّ هلكت جوعا

النور الاحمر والغبار

قال المسيو بكته الجنوي ان النور الاحمر اشد الانوار نفوذًا في الغبار والضباب ولذلك ترى الشمس حمراء اذا احتجبت بها ولذلك ايضًا يحجب الضباب النور الكهربائي الساطع اكثر مما يحجب نور الزيت والغاز

الضعيف فان نور الزيت ونور الغاز محمرٌ فينفذ الضباب بخلاف النور الكهربائي فانهُ ابيض ساطع فلا ينفذهُ

الآلات البخارية الايثيرية

قال المسيو سوسيني انهُ صنع آلة بخارية يستعمل فيها الايثير بدلاً من الماء فيتبخر بحرارة قليلة ويسيل بسهولة وعندهُ ان ذلك سيغير السفن البخارية فلا تعود تضطر الى حمل الكثير من الفحم والماء

الكسوف والخسوف

ستكسف الشمس كسوفين هذا العام الاول تام في ٢٦ ابريل ويرى في الشاطئ الغربي من اميركا الجنوبية والثاني جزئي في ٢٠ اكتوبر ويرى في شمالي اميركا. ويخسف القمر خسوفين الاول في الحادي عشر من مايو ويرى في اسيا وافريقية واوربا والثاني كلي في الرابع من نوفمبر ويرى في اسيا واوربا وافريقية ايضاً وشمالي اميركا

البن في برازيل ومصر

يؤْخذ من تقرير ديوان الزراعة باميركا ان نبات البن نقل الى برازيل من افريقية وان بلاد برازيل اصدرت سنة ١٨٠٠ ثلاثة عشر كيساً من بنها واتسعت زراعة البن فيها رويداً رويداً فاصدرت سنة ١٨١٧ ستة وستين الفاً و٩٨٥ كيساً وسنة ١٨٢٠ سبعة وتسعين الفاً و٤٩٨ كيساً وسنة ١٨٣٠ اربع مئة واربعة وثمانين الفاً و٢٢٢ كيساً وسنة ١٨٤٠ مليوناً و٣٧ الفاً و٩٨١ كيساً وسنة ١٨٧٦ ثلاثة ملايين و٧٦٥ الفاً و١٢٢ كيساً وتبلغ غلة البن السنوية الآن فيها ستة ملايين كيس في كل كيس منها قنطار مصري وثلث قنطار او ١٣٢ ليبرة. ونصف الصادر منها يرسل الى الولايات المتحدة الاميركية والنصف الآخر الى اوربا. وهو يجود في ارض الحراج البكر بجانب التلال. والحرّ الشديد والبرد الشديد يضرّان بهِ

وقد بلغنا انهُ جرّبت زراعة البن الآن في بستان الجيزة فنما واثمر وكان ثمرهُ جيداً ولكننا لا نظن ان زراعة البن تنجح كثيراً في اراضي القطر المصري لانها معرَّضة للشمس على مدار السنة

مقتطف هذا الشهر

افتتحناهُ بمقالة مسهبة في الخيالات والتخيلات اجابةً لطلب مَن لا يسعنا الاَّ اجابة طلبهِ وقد ابنّا فيها ان كل ما يروى عن وجود الخيالات في الخارج وعن إنبائها بالمستقبلات لا دليل على صحتهِ. وهذا لا ينفي انهُ يمكن ان تقام الادلّة على صحتهِ في المستقبل لان اموراً كثيرة عُدّت اولاً بين المستحيلات ثم ثبت انها من الممكنات بل من الواقعيات. ويتلو ذلك مقالة في كلام القرود فصّلنا فيها تجارب الاستاذ غرنر الاميركي واكتشافهُ

ما يشبه ان يكون لغةً للقرود . ونعيد هنا ما ختمنا بهِ تلك المقالة وهو انهُ اذا ثبت ان القرود يخاطب بعضها بعضًا بلغة تفهمها لا نكون قد ازلنا الفاصل الذي بينها وبين نوع الانسان

ثم مقالة في نواميس الكون وقدرة الخالق وضعناها جوابًا لمن ظنَّ ان استبعادنا او انكارنا لوجود دودة حيَّة في بلاطة الفرن مخالف للاعتقاد بقدرة الخالق . ثم كلام على الحسب والنسب لجناب جرجس افندي خولي فصَّلهُ احسن تفصيل . وبعدهُ كلام على تسهيل الطباعة والآلات التي اختُرعت حديثًا في اوربا واميركا لجمع الحروف وتفريقها

ويتلو ذلك مقالة في الاغتراب والمهاجرة ابنّا فيها انهما طبيعيان في الانسان ولا يحسن صدهما بل يجب الانتفاع بهما وذكرنا ان المهاجر من بلادهِ الى غيرها رجل من ثلاثة اما رَحَّالة حليف اسفار واما طلاَّب للمعالي واما مسكين هارب من الجور او طالب للمعيشة وليس منهم مَن يضرُّ بالبلاد التي يهاجر اليها ومعلوم ان ذلك لا يتناول اللصوص الذين يدخلون البلدان الغريبة بقصد النهب والسلب ولا المتجرين بالمسكرات والقبائح الذين لا تنال البلاد منهم الاَّ الضرر

ثم مقالة مسهبة في تفسير بعض ما جاء في اشعار هوميروس اليوناني لحضرة العالم العامل المستر فلابر عضو الجمعية الجغرافية الملكية والجيولوجية الملكية واللينيوسية الخ ويظهر منها ان اسلاف الفينيقيين هاجروا من جهات خليج العجم وساروا بطريق صحراء عيذاب وساعدوا المصريين على بناء مدينة طيبة . ويظهر من الآثار التي اكتشفها الشهيران سايس وبتري ان الفينيقيين سكنوا القطر المصري قبل المسيح باكثر من الفي سنة والظاهر انهم هاجروا من هذه الديار رويدًا رويدًا ونزلوا ديار الشام حينئذٍ . وفي هذه المقالة فوائد كثيرة تشهد لمؤلفها بغزارة المعارف وعلو الهمة وسنولي في حضرات القراء بما رآهُ في جبل الزمرد الذي في تلك الصحراء

وفي باب المناظرة بحث لغوي لحضرة الكاتب اللغوي احمد افندي رافع ادرجناهُ كلهُ على اسهابهِ لكثرة ما فيهِ من الفوائد اللغويَّة والبيانية ولكننا نطلب من حضرات المتناظرين ان يوجزوا المقال ما امكن ولاسيَّما في المواضيع اللغويَّة لان كتبها متوفرة والحمد لله . وقد اضطررنا ان نؤخر بعض المناظرات لضيق المقام . وفي باب الزراعة جانب من خطبة جامعة للاستاذ غوديل رئيس مجمع تقدم العلوم الاميركي تلاها في هذا الصيف . ويتلوها نبذ كثيرة زراعية . وفي باب الصناعة وصف نقل الصور الفوتوغرافية ونبذ أُخرى مفيدة

فهرس الجزء الرابع من السنة السادسة عشرة